أخلاق الأنبياء

تأليف

سرحان بن غزاي العتيبي

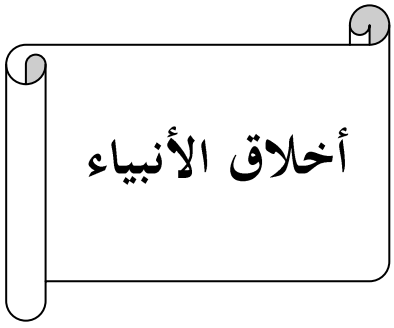
أخلاق الأنبياء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلقنا لعبادته وأمرنا بتوحيده وطاعته وبعث الرسل مبشرين ومنذرين فمن أطاعهم أفلح ونجا ومن عصاهم خاب وهوى في الردى ، ولقد بلّغ الرسل قومهم أحسن التبليغ وبينوا لهم طريق الوصول إلى الله غاية البيان ، فما تركوا طريق هدىً إلا بينوه لأممهم وأمروهم بالسير عليه ، ولا طريق ضلالةٍ إلا حذّروهم منه . فجزاهم الله خير الجزاء وجعلنا جيرانهم في الجنان إنه جـــوادٌ كريم ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً ندخرها ليومٍ لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً . أما بعد :

لما تبين أن خير هديٍ هو هدي الأنبياء ، وأنهم أعرف الناس بما يرضي الرب جل وعلا من الأقوال والأعمال وأنهم أول العاملين بها ، ومعرفة ما يسخط الرب جل وعلا من الأقوال والأعمال وأنهم أول المجتنبين لها ، تعيَّن على من أراد الفوز بأعالي الجنان والنجاة من حر النيران أن يعرف سمتـــهم وهديهم فيقتدي بهم كما قال تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾ (٩٠) سورة الأنعـــام وقال تعـــالى ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾ (٢١) سورة الأحزاب وقال تعـــالى ﴿ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ (٤) ســـورة الممتحنـــة وليست معرفة هدي من تقدم نبينا من الأنبياء بمتعسرة فقد ذكر الله في كتابه وعلى لسان نبيه من صفاتهم وأخبارهم وطريقة تعاملهم مع أقوامهم من أنصارهم ومخالفيهم ما يكفي للسائرين علـــى طريق الهدى ، وأما ما امتلأت به كتب التفاسير وغيرها من الإسرائيليات ونحوها مما يذكرونه عن الأنبياء من الأخلاق والتعاملات التي لا يفعلها مؤمنٌ تقي فضلاً عن نبيٍ مصطفى كقصـــة قتـــل الشيطان لولد الأبوين لأجل أن يسمياه عبد الحارث ففعلا ، وهذا من أفرى الفرى وأظهر الكذب فإنهما من أبعد الناس عن الشرك وأبغضهم للشيطان وكيف يطيعانه وقد ذاقا وبال طاعته في أمـــرٍ دون هذا بل لا يقاربه ، ومثل قصة داود عليه السلام مع قائد جيشه وأنه بعثه في غـــزوٍ لِيُقتَـــلَ فيتزوج امرأته ، وهذا بهتانٌ عظيم لا يفعله مؤمن فكيف بنبيٍ اصطفاه الله ، ونحو هذه من القصص التي لا مستند لها سوى الأخذ من بني إسرائيل من كتبهم المحرفة وأخبارهم الباطلة ، ولقد بيَّن المولى جل وعلا لنا عداوة بني إسرائيل للأنبياء وحقدهم الدفين عليهم وكيف أنهم عصوهم وكذبوهم بل وسعوا في قتلهم كما قـــال تعـــالى ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ

﴿ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ (٨٧) سورة البقرة فكيف نأخذ بروايات من هذه حالهم مع أنبيائهم ، وليعلم المؤمن أن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قد جمع أخلاق الأنبياء قبله ، فمن اقتدى به فقد اقتدى بالأنبياء جميعاً خاصةً وأنه مأمورٌ بالاقتداء بالأنبياء قبله وهو أعلم بما كانوا عليه من هديٍ وأخلاق .

ولذلك فقد اعتمدت في كتابي هذا على ما ورد في كتاب الله وما صح من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذكر أخلاق الأنبياء وكيفية تعاملهم مع الخالق جل وعلا ومع المخلوقين من أنصارهم وأعدائهم ليكون عوناً لي ولأحبابي في معرفة هدي الأنبياء والسير على منوالهم عسى الله أن يجمعنا بهم في دار كرامته ومستقر رحمته وقد جاء عن الصادق المصدوق (المرء مع من أحب) اللهم فإنا نشهدك أنا نحب أنبيائك وعبادك الصالحين اللهم فاحشرنا مع من أحببنا يا حي يا قيوم ، اللهم لا تجعل ذنوبنا حائلاً بيننا وبين اللحاق بركب أحبابنا ، اللهم تجاوز عن تقصيرنا واعف عن سيئاتنا ولا تعاملنا بما نحن أهله وعاملنا بما أنت أهله فأنت ﴿ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾ (٥٦) سورة المدثر سبحانك وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

باب في فضل حسن الخلق

عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من الخير ، ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير ، أثقل شيء في ميزان المؤمن يوم القيامة حسن الخلق ، وإن الله ليبغض الفاحش البذيء) (١) وعن نواس بن سمعان الأنصاري رضي الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والإثم ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم (البر حسن الخلق والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس) (٢) وقال النبي صلى الله عليه وسلم (ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق ، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة) (٣) وعن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم) (٤) وقال صلى الله عليه وسلم (إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً ، وإن أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون . قالوا : يا رسول الله ما المتفيهقون ؟ قال : المتكبرون). (٥)

١- رواه البخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني

٢- رواه البخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني

٣- صححه الألباني انظر حديث رقم (٥٧٢٦) في صحيح الجامع.

٤- رواه أبو داود وغيره وصححه الألباني انظر صحيح الجامع حديث رقم (١٩٣٢)

٥- رواه الترمذي وحسنه الألباني انظر حديث رقم: ٢٢٠١ في صحيح الجامع.

باب في ذكر حقوق الأنبياء عليهم السلام

أولاً / الإيمان بأنهم رسل الله حقاً أرسلهم الله جل وعلا لهداية البشرية ودلالتهم على طريق الهدى وهذا أحد أركان الإيمان الستة قال تعالى ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ من (١٣٦) سورة النساء وقال النبي صلى الله عليه وسلم لما سأله جبريل عن الإيمان قال (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره) رواه مسلم

ثانياً / عدم التفريق بينهم فمن لم يؤمن بواحدٍ منهم فقد كفر بالجميع قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ ﴾ سورة النساء وقال تعالى ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ سورة البقرة وقال النبي صلى الله عليه وسلم (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ) رواه مسلم مع أن فيهم من هو مؤمنٌ برسالة نبيٍ متقدم كموسى وعيسى وغيرهم ومع ذلك لم تنفعه إذ كفر بمحمدٍ عليه الصلاة والسلام واستبيح ماله ودمه .

ثالثاً / اعتقاد أنهم أفضل الناس وأتقاهم وأعرفهم بالله ، ومحبتهم والثناء عليهم جميعاً وتبجيلهم والذب عنهم ونصرة دينهم وهو التوحيد ومحاربة أعدائهم .

رابعاً / عدم الغلو فيهم ورفعهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله إياها كما ادعت النصارى أن المسيح هو الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة قال تعالى ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ ﴾ من (٧٢) سورة المائدة وقال تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ ﴾ واليهود ادعوا أن عزيراً ابن الله قال تعالى ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ من (٣٠)سورة التوبة وكل ذلك من الغلو المؤدي إلى الكفر ثم النار والعياذ بالله .

باب في ذكر حقوق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

أولاً / وجوب طاعته وترك معصيته قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ سورة الأنفال وقال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴿٣٦﴾ ﴾ سورة الأحزاب وقال تعالى ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ من (٦٣) سورة النور قال الإمام أحمد الفتنة الشرك لعله إذا ردَّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيءٌ من الزيغ فيهلك . وقال تعالى ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ من (٧) سورة الحشر ومن طاعته التحاكم إلى شريعته قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ سورة النساء أي عاقبة ومآلا وقال تعالى ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾ ﴾ سورة النساء وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله) متفق عليه وقال صلى الله عليه وسلم (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى . قالوا : ومن يأبى يا رسول الله ؟ قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى) رواه البخاري

ثانياً / احترامه وتبجيله قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ سورة الحجرات حتى لقد نهى الله عز وجل عباده المؤمنين عن مناداة النبي صلى الله عليه وسلم باسمه فقال تعالى ﴿ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗا ﴾ من (٦٣) سورة النور بينما نجد أن أمم الأنبياء قبل كانوا يدعون أنبيائهم بأسمائهم كما قال تعالى ﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ سورة الأعراف وقال تعالى ﴿ إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ سورة المائدة لسوء أدبهم مع أنبيائهم . وإذا وجب تعظيم الأنبياء فإن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم هو سيد الأنبياء كما قال عليه الصلاة والسلام (أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ

وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ) رواه مسلم ولكن تعظيمه لا بد أن يكون مقروناً بعدم الغلو فيه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله) متفق عليه فلا يُدعى ولا يعبد من دون الله ولا يكون له من خصائص الله شيء قال تعالى ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ سورة الأنعام وقال تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ ﴾ سورة الجن وقال تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ سورة الكهف

ثالثاً / وجوب الإيمان به واتباعه قال تعالى ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ سورة الأعراف وقال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ سورة الحديد وقال تعالى ﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ ﴾ سورة الفتح وقال تعالى﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ سورة آل عمران وقَالَ النبي صلى الله عليه وسلم (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ) رواه مسلم . وقال (والذي نفس محمدٍ بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهوديٌ ولا نصراني ثم يموت و لم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار) رواه مسلم والمراد أمة الدعوة لا أمة الإجابة .

رابعاً / اتخاذه قدوة وترك الابتداع كما قال تعالى﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ سورة الأحزاب وعن مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (صلوا كما رأيتموني أصلي) متفق عليه وقال صلى الله عليه وسلم (خذوا عني مناسككم) رواه مسلم وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : وعظنا

رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظةً وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا قال (أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة) (١) وعن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) متفق عليه

خامساً / وجوب تقديم محبته على محبة من سواه من الخلق قال الله تعالى ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ سورة التوبة . وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم (لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) رواه البخاري وعن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أنه قال : يَا رَسُولَ اللَّهِ لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَىَّ مِنْ كُلِّ شيء إِلاَّ مِنْ نَفْسِى . فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم (لاَ وَالَّذِى نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ) فَقَالَ لَهُ عُمَرُ فَإِنَّهُ الآنَ وَاللَّهِ لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِى . فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم (الآنَ يَا عُمَرُ) . رواه البخاري وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ قَالَ (وَمَا أَعْدَدْتَ لِلسَّاعَةِ) قَالَ حُبَّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ قَالَ (فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ) قَالَ أَنَسٌ فَمَا فَرِحْنَا بَعْدَ الإِسْلاَمِ فَرَحًا أَشَدَّ مِنْ قَوْلِ النبي صلى الله عليه وسلم (فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ) قَالَ أَنَسٌ فَأَنَا أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِأَعْمَالِهِم . رواه مسلم وعَنْه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قَالَ (ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلَّهِ ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِى الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِى النَّارِ) رواه البخاري ومن واجبات محبة النبي صلى الله عليه وسلم وعلاماتها طاعته فيما أمر به واجتناب ما نهى عنه وزجر ونصرته ونصرة دينه وإحياء سنته والعمل بها وتعلمها وتعليمها والذب عنها ونشرها ، والتخلق بأخلاقه الكريمة وصفاته النبيلة .

١- رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه وقال الترمذي حديث حسن صحيح وصححه الألباني

سادساً / وجوب نصرته كما قال تعالى ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٩ ﴾ سورة الفتح وقال تعالى﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٤٠ ﴾ سورة التوبة وقال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧ ﴾ سورة الأعراف وقال تعالى ﴿ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ٨ ﴾ سورة الحشر

واعلموا أن الله قد أخذ العهد على الأمم المتقدمة بأنبيائهم أن يؤمنوا بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم إذا بعث وينصرونه كما قال تعالى﴿ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨١ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٨٢ ﴾ سورة آل عمران وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق : لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق : لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه . رواه البخاري ولذلك لا يقبل من اليهود والنصارى وغيرهم بعد الإسلام إلا الإسلام كما قال تعالى ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥ ﴾ سورة آل عمران

سابعاً / وجوب الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم عند ذكره كما قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ سورة الأحزاب وقال النبي صلى الله عليه وسلم (الْبَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ ثُمَّ لَمْ يُصِلِّ عَلَيَّ) (١) وقال (مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ إِلاَّ كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُم) . (٢) ومعنى ترة : أي حسرةً وندامة وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول (إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاةً صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبدٍ من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة) رواه مسلم وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من صلى عليَّ صلاةً واحدةً صلى الله عليه عشر صلوات وحطت عنه عشر خطيئات ورفعت له عشر درجات) (٣)

ومن مواطن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عند دخول المسجد ، وعند الخروج منه ، وبعد إجابة المؤذن ، وعند الدعاء ، وفي التشهد في الصلاة ، وفي صلاة الجنازة ، وفي أذكار الصباح والمساء ، وفي يوم الجمعة ، وعند اجتماع القوم قبل تفرقهم ، وفي الخطب ، وعند كتابة وذكر اسمه ، وآخر دعاء القنوت ، وعند الوقوف على قبره وغير ذلك .

ثامناً / الاعتقاد الجازم بأنه بلّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح للأمة وقد بين ذلك ربنا جل وعلا في كتابه في قوله تعالى ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾ من (٣) سورة المائدة وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ : تَرَكَنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَمَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ عِنْدَنَا مِنْهُ عِلْمٌ . (٤)

تاسعاً / الاعتقاد الجازم بأنه خاتم النبيين وأن كل دعوى نبوة بعده فكذب لقوله تعالى ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ من (٤٠) سورة الأحزاب

١- رواه أحمد والترمذي والنسائي وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب حديث رقم (١٦٨٣)

٢- رواه أبو داود والترمذي وبن ماجة وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٥٦٠٧)

٣- رواه النسائي وصححه الألباني في مشكاة المصابيح حديث رقم (٩٢٢)

٤- رواه بن حبان في صحيحه وصحح إسناده الأرناؤوط .

عاشراً / محبة أصحابه وأهل بيته وأزواجه وموالاتهم جميعًا والحذر من تنقصهم أو الطعن فيهم بشيء كما أمر ربنا جل وعلا بقوله ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠ ﴾ سورة الحشر

ففي الأصحاب يقول النبي صلى الله عليه وسلم (لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِى ، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ) رواه البخاري قال أبو زُرْعَةَ : إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَنْتَقِصُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ زِنْدِيقٌ ، وَذَلِكَ أَنَّ الرَّسُولَ عِنْدَنَا حَقٌّ ، وَالْقُرْآنَ حَقٌّ ، وَإِنَّمَا أَدَّى إِلَيْنَا هَذَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَنَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، وَإِنَّمَا يُرِيدُونَ أَنْ يُجَرِّحُوا شُهُودَنَا لِيُبْطِلُوا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ ، وَالْجَرْحُ بِهِمْ أَوْلَى وَهُمْ زَنَادِقَةٌ .(١) وقال أحمد : إِذَا رَأَيْتَ أَحَدًا يَذْكُرُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ بِسُوءٍ فَاتَّهِمْهُ عَلَى الْإِسْلَامِ . (٢)

وفي أهل بيته ما رواه مسلم عن زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رضي الله عنه قَالَ : قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًّا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَوَعَظَ وَذَكَّرَ ثُمَّ قَالَ (أَمَّا بَعْدُ أَلاَ أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يأتِي رَسُولُ رَبِّى فَأُجيبَ وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ) فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَّبَ فِيهِ ثُمَّ قَالَ (وَأَهْلُ بيتِي أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بيتِي أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بيتِي أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِى)

وفي أزواجه يقول تعالى ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ ﴾ من (٦) سورة الأحزاب

١- الْكِفَايَةُ فِي عِلْمِ الرِّوَايَةِ لِلْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ ص(١٠٤)

٢- شَرْحُ أُصُولِ الاعْتِقَادِ للالكائي (١٩١٩)

أولاً / أن الله أيدهم بالمعجزات وهي أشياءٌ خارقةٌ للعادة كناقة صالح وعصى موسى وإحياء الموتى لعيسى ونحو ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم (مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نبيٌ إِلاَّ أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِى أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَىَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)(١)

ثانياً / أن الأرض لا تأكل أجسادهم قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم (إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ النَّفْخَةُ وَفِيهِ الصَّعْقَةُ فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلاَةِ فِيهِ فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ) فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تُعْرَضُ صَلاَتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ - يَعْنِى بَلِيتَ - فَقَالَ (إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ)(٢)

ثالثاً / أن رؤياهم وحيٌ من الله كما في قصة الخليل عليه السلام قال تعالى ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ سورة الصافات وقال تعالى ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ﴾ سورة الفتح

رابعاً / أن سبَّ أشخاصهم كفرٌ بخلاف غيرهم فلا يكفر بسب أشخاصهم وإنما بسب دينهم وبماهم متمسكين به من شعائر الدين كطول اللحى وقصر الثياب ونحو ذلك ويقتل ساب الأنبياء لقول النبي صلى الله عليه وسلم (مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ ، فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ) . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ (نَعَمْ) رواه البخاري وقد أجمعت الأمة على كفر ساب الأنبياء وأنه يقتل حداً إن كان كافراً وردةً إن كان مسلماً ، واختلفوا هل يستتاب أم لا ؟ .

١- متفق عليه

٢- رواه بن ماجه وصححه الألباني انظر حديث رقم (٢٢١٢) في صحيح الجامع .

خامساً / أنهم لا يورثون المال قال النبي صلى الله عليه وسلم (إنا لا نورث ما تركناه صدقة) متفق عليه وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقاً إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر) (١)

وأما قوله تعالى ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ﴾ من (١٦) سورة النمل وقول زكريا عليه السلام ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ ﴾ سورة مريم فالمقصود ميراث النبوة والعلم لا ميراث المال إذ لو كان ولد النبي كغيره يرث مال أبيه لكان ذكرها في القران لا فائدة فيه إذ هو معلومٌ من قبل فَلِمَ يذكره الرب جل وعلا ، وقد سيقت الآية لبيان ما حصل لسليمان عليه السلام من الخير بعد أبيه وذلك بكونه أصبح نبياً بعد أبيه وذلك فضلٌ عظيمٌ من الله ، ولو كان المقصود المال لقال كل واحدٍ ممن سبق نزول الآية ونحن يا ربنا كذلك قد ورثنا خيراً من آبائنا وملكاً ومالاً كثيراً فلماذا لم تذكرنا في كتابك وخصصت سليمان بالذكر ، وهكذا هل يُظن أن زكريا عليه السلام يدعوا الله أن يرزقه ولداً خوفاً أن يضيع ماله بعد وفاته وأي حب لهذا المال عند الأنبياء وهم أزهد الناس فيه كما سيأتي فتبين أنه أراد ولداً صالحاً يكون سائراً على منهجه ومنهج الصالحين من أبناء يعقوب عليه السلام ليكون في ميزان حسناته بحسن تربيته وتعليمه ودعائه .

١- رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والبيهقي وصححه الألباني في صحيح الجامع انظر حديث رقم (٦٢٩٧)

أولاً / أن رسالته عامة للثقلين الانس والجن كما قال تعالى ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ من (١٥٨) سورة الأعراف وقال تعالى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ سورة سبأ وقال تعالى ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ سورة الفرقان وعن جَابِرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِي صلى الله عليه وسلم قَالَ (أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قبلي : نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِى أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ ، وَأُحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قبلي ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ ، وَكَانَ النبي يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً ، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً) رواه البخاري وعن أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ (فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِستٍّ أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً وَخُتِمَ بِي النَّبِيُّونَ) . رواه مسلم

ثانياً / أن شريعته ناسخة لما تقدمها ودينه ناسخ لجميع الأديان قال تعالى ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ سورة آل عمران وقد أخذ الله العهد على جميع الأنبياء وأممهم باتباع النبي صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ سورة آل عمران وقال النبي صلى الله عليه وسلم (لو كان موسى بن عمران حياً ما وسعه إلا اتباعي) (١) فلا يسع أحد الخروج عن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ومن اعتقد أن في وسعه الخروج عن شريعته فقد كفر لمناقضته للكتاب والسنة .

ثالثاً / أنه خاتم الأنبياء فلا نبي بعده قال تعالى ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ سورة الأحزاب وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ (إِنَّ مَثَلِى وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قبلي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ

١- رواه أحمد والبيهقي وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح حديث رقم (١٧٧)

وَأَجْمَلَهُ ،إِلاَّ مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ ، وَيَقُولُونَ هَلاَّ وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ قَالَ فَأَنَا اللَّبِنَةُ ، وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ) رواه البخاري

خامساً / أنه أول من يحشر فعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّـهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ (إِنَّ لِي أَسْمَاءً أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَنَا أَحْمَدُ وَأَنَا الماحي الذي يَمْحُو اللَّـهُ بِـي الْكُفْرَ ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الذي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قدمي ، وَأَنَا الْعَاقِبُ الذي لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ) رواه مسلم

سادساً / الشفاعة العظمى قال عليه الصلاة والسلام (أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ يُجْمَعُ النَّاسُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، يُسْمِعُهُمُ الداعي ، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لاَ يُطِيقُونَ وَلاَ يَحْتَمِلُونَ فَيَقُولُ النَّاسُ أَلاَ تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ أَلاَ تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ عَلَيْكُمْ بِآدَمَ فَيَأْتُونَ آدَمَ عليه السلام فَيَقُولُونَ لَهُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ . وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ ، وَأَمَرَ الْمَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا ، فَيَقُولُ آدَمُ إِنَّ رَبِّى قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَإِنَّهُ نهانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ ، نفسي نفسي نفسي ، اذْهَبُوا إِلَى غيري اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ يَا نُوحُ إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَيَقُولُ إِنَّ رَبِّى عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قومي نفسي نفسي نفسي اذْهَبُوا إِلَى غيري اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ ، فَيَقُولُونَ يَا إِبْرَاهِيمُ ، أَنْتَ نبي اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَيَقُولُ لَهُمْ إِنَّ رَبِّى قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلاَثَ كذبات نفسي نفسي نفسي ، اذْهَبُوا إِلَى غيري اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى ، فَيَأْتُونَ مُوسَى ، فَيَقُولُونَ يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ، فَضَّلَكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلاَمِهِ عَلَى النَّاسِ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَيَقُولُ إِنَّ رَبِّى قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَإِنِّى قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا ، نفسي نفسي نفسي ، اذْهَبُوا إِلَى غيري ، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ، فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِى الْمَهْدِ صَبِيًّا اشْفَعْ

لَنَا أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَيَقُولُ عِيسَى إِنَّ رَبِّى قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ – وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا – نفسي نفسي نفسي ، اذْهَبُوا إِلَى غيري اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُولُونَ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَأَنْطَلِقُ فَآتِى تَحْتَ الْعَرْشِ ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّى عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَىَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قبلي ثُمَّ يُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ ، سَلْ تُعْطَهْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ، فَأَرْفَعُ رأسي ، فَأَقُولُ أُمَّتِي يَا رَبِّ ، أُمَّتِي يَا رَبِّ ، فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ ، ثُمَّ قَالَ والذي نفسي بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى) رواه البخاري ومسلم وهي المقام المحمود الذي ذكره الله جل وعلا بقوله ﴿ **وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩** ﴾ سورة الإسراء وقال صلى الله عليه وسلم (لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةَ ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا) رَوَاهُ مُسْلِم وقال النبي صلى الله عليه وسلم (مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ : اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ ، وَالصَّلاَةِ الْقَائِمَةِ ، آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ ، وَابْعَثْهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ الَّذِي وَعَدْتَهُ ، إِلاَّ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) رواه البخاري

سابعاً / الوسيلة وهي أعلى مترلةً في الجنة فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ (إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِها عَشْرًا ، ثُمَّ سَلُوا لِيَ الْوَسِيلَةَ ، فَإِنَّهَا مَرْتَبَةٌ فِي الْجَنَّةِ ، لاَ تَنْبَغِي إِلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ ، فَمَنْ سَأَلَ اللَّهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ عَلَيْهِ الشَّفَاعَةُ) رواه مسلم

ثامناً / استفتاح باب الجنة فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم (آتِى بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ فَيَقُولُ الْخَازِنُ مَنْ أَنْتَ فَأَقُولُ مُحَمَّدٌ . فَيَقُولُ بِكَ أُمِرْتُ لاَ أَفْتَحُ لأَحَدٍ قَبْلَكَ) رواه مسلم

وهناك خصائص أختص بها دون أمته منها جواز الوصال في الصوم وجواز النكاح بلا ولي ولا شهود وبأكثر من أربع نسوة وأحل له القتال في الحرم وأنه لا يأكل الصدقة وغيرها .

قال تعالى ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ من (٩٠) سورة الأنبياء وقال تعالى عن زكريا عليه السلام ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ سورة آل عمران وقال تعالى عنه ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ ﴾ سورة مريم وقال تعالى في قصة داود عليه السلام ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ ﴾ سورة ص وقال تعالى عن إبراهيم وإسحاق ويعقوب ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ سورة الأنبياء وقال تعالى عن إسماعيل ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ ﴾ سورة مريم

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أحب الصلاة إلى الله صلاة داود وأحب الصيام إلى الله صيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم يوماً ويفطر يوماً) متفق عليه وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه فقلت له لم تصنع هذا وقد غُفِرَ لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال (أفلا أحب أن أكون عبدا شكوراً) متفق عليه وعن علقمة قال : سألت عائشة رضي الله عنها كيف كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كان يخص شيئاً من الأيام ؟ قالت لا كان عمله ديمة وأيكم يستطيع ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستطيع . متفق عليه وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: صليت ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل قائماً حتى هممت بأمر سوء قيل له : وما هممت به ؟ قال (هممت أن أقعد وأدع النبي صلى الله عليه وسلم) متفق عليه وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (والذي نفسي بيده ليهلن ابن مريم بفج الروحاء حاجاً أو معتمراً أو ليثنينهما) رواه مسلم

قال تعالى ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ سورة الذاريات وقال تعالى ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ سورة السجدة وقال تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ ﴾ سورة الإنسان وقال تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ سورة الإسراء ولا شك أن النبي صلى الله عليه وسلم قد عمل بما أمر ، وتقدم حديث داود عليه السلام أنه كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ، وأن نبينا صلى الله عليه وسلم كان يقوم حتى تتفطر قدماه . وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وقربة إلى ربكم ومكفرة للسيئات ومنهاة عن الإثم) (١)

١-رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٤٠٧٩)

قال تعالى ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ من (٩٠) سورة الأنبياء وقال تعالى عن الأبوين ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) ﴾ سورة الأعراف وقال عن نوح ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ (١٠) ﴾ سورة القمر وقال عن أيوب ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ (٨٤) ﴾ سورة الأنبياء وقال ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (٤١) ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (٤٢) وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (٤٣) ﴾ سورة ص وقال تعالى عن يونس ﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ (٨٨) ﴾ سورة الأنبياء وقال تعالى عن زكريا ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴾ سورة الأنبياء من (٩٠) والآيات في ذلك كثيرة ، وروي عن إبراهيم الخليل عليه السلام أنه لما ألقي في النار جاءه جبريل فقال هل لك إليَّ حاجة قال أما إليك فلا وأما إلى الله فنعم (١) فجعل تعلقه بالله وحده رغم جواز الاستعانة بالحي القادر لكن الأنبياء والصالحين يعلقون استعانتهم بالله وحده ولذا ورد في الحديث عن أبي عبد الرحمن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال (ألا تبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم) وكنا حديثي عهد ببيعةٍ ، فقلنا قد بايعناك يا رسول الله . ثم قال ألا تبايعون ؟ فبسطنا أيدينا وقلنا قد بايعناك يا رسول الله فعلام نبايعك قال (أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، والصلوات الخمس ، وتطيعوا ، وأسر كلمة خفية : ولا تسألوا الناس شيئاً) فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحداً يناوله إياه) رواه مسلم

١- رواه البيهقي في شعب الإيمان

وأما في سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فحدث ولا حرج فكل حياته تعلقٌ بالله واستنصارٌ به وطلب العون والتأييد والمدد منه وحده دون من سواه كما قال تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) ﴾ سورة الأنعام ومن ذلك : أنه لما بلّغ النبي صلى الله عليه وسلم أهل مكة الدين الحنيف فلم يجد آذاناً صاغيةً ولا قلوباً واعيةً خرج عليه الصلاة والسلام إلى الطائف حيث أخواله من الرضاعة لعله يجد من يقبل دعوته فلمَّا دعاهم وجدهم أعمى قلوباً من أهل مكة وأكثر شراً فليتهم إذ لم يقبلوا دعوته تركوه ولكن أرسلوا سفهائهم وصبيانهم لإيذاء النبي صلى الله عليه وسلم فجعلوا يرمونه بالحجارة حتى أدموا عقبيه الشريفتين وهو يقول (اللهم أغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) ثم قال (اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس أنت أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي غير أن عافيتك أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الكريم الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل علي غضبك أو يترل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك) (١) ومن ذلك ما كان منه يوم بدر فقد روى مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه (اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم آت ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض) فما زال يهتف بربه مادًا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يا نبي الله كذاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (٩) ﴾ سورة الأنفال (٢) فأمده الله بالملائكة فانظروا شدة تعلقه بربه ودعاءه له كيف دعا حتى سقط رداءه من على منكبه .

والقصص في مثل هذا كثيرة وفي المثال ما يغني عن تطويل المقال .

١-رواه الطبراني وضعفه الألباني انظر ضعيف الجامع حديث رقم (١١٨٢) لكن قال بعض أهل العلم عن هذا الحديث عليه نور النبوة . يريد أنه يشابه كلام الأنبياء في شدة تعلقهم بربهم جل وعلا وإظهار الشكوى إليه وحده .

٢- رواه مسلم

قال تعالى ﴿ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ سورة الذاريات قال نوحٌ عليه السلام ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾ ﴾ سورة نوح وقال إبراهيم عليه السلام ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾ سورة إبراهيم وقال موسى عليه السلام ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾ سورة القصص وقال أيضاً ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾ سورة الأعراف وقال سليمان عليه السلام ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ ﴾ سورة ص

وقال محمدٌ عليه الصلاة والسلام (والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة) (١) وعن الأغر المزني رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة) (٢) وعن بن عمر رضي الله عنهما قال : إن كنا لنعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد مائة مرة يقول (رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم) (٣) وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده (سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي) يتأول القران(٤) فإذا كان هذا حال الأنبياء عليهم السلام فكيف بمن دونهم لا شك أنه أشد حاجةً لكثرة التوبة والاستغفار .

١- رواه البخاري .

٢- رواه مسلم .

٣- رواه أبو داود وغيره وصححه الألباني

٤- متفق عليه .

باب في كثرة بكائهم من خشية الله

قال تعالى ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ ﴾ سورة مريم وقال تعالى ﴿ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ۚ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ سورة الإسراء وعن عطاء قال دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة رضي الله عنها فقال عبد الله بن عمير حدثينا بأعجب شيءٍ رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت قام ليلةً من الليالي فقال (يا عائشة ذريني أتعبد لربي) قالت قلت والله إني لأحب قربك وأحب ما يسرك . قالت : فقام فتطهر ثم قام يصلي فلم يزل يبكي حتى بل حجره ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل الأرض وجاء بلال يؤذنه بالصلاة فلما رآه يبكي قال يا رسول الله تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال (أفلا أكون عبداً شكوراً لقد نزلت علي الليلة آيات ويل لمن قرأها و لم يتفكر فيها ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾..... ﴾ الآيات من آخر سورة آل عمران (١) وعن عبدالله بن الشخير عن أبيه قال : أتيت رسول الله وهو يصلي ولجوفه أزيزٌ كأزيز المرجل من البكاء (٢) وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله (اقرأ عليَّ) فقلت : يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال (إني أحب أن أسمعه من غيري) فقرأت سورة النساء حتى بلغت ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ قال فرأيت عيني رسول الله تهملان (٣) وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال : انكسفت الشمس يوماً على عهد رسول الله فقام رسول الله يصلي إلى أن قال : ثم سجد فلم يكد أن يرفع رأسه فجعل ينفخ ويبكي ويقول رب ألم تعدني أن لا تعذبهم وأنا فيهم ، رب ألم تعدني أن لا تعذبهم وهم يستغفرون ونحن نستغفرك) فلما صلى ركعتين انجلت الشمس . (٤)

١-رواه بن حبان في صحيحه وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب حديث رقم (١٤٦٨) وقال شعيب الأرناؤوط إسناده صحيح على شرط مسلم

٢- رواه أحمد وأبو داود والنسائي وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب حديث رقم (٥٤٤)

٣- رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني في مشكاة المصابيح حديث رقم (٢١٩٥)

٤-رواه أحمد وابو داود والنسائي وصححه الألباني في إرواء الغليل حديث رقم (١١٩٤)

قال تعالى مخبراً عن قصة يعقوب عليه السلام مع أهله وأبناءه ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ سورة يوسف قال بن كثير : إنما أشكو بثي وحزني أي: همي وما أنا فيه ﴿ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ وحده ﴿ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أي: أرجو منه كل خير . انتهى . وقال القرطبي : إني أعلم من إحسان الله تعالى إليَّ ما يوجب حسن ظني به . انتهى . وقال أبو بكر الجزائري : يريد أن رجاءه في الله كبير وأن الله لا يخيب رجاءه ... إلى أن قال وقوله ﴿ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ﴾ أي لا تقنطوا من فرج الله ورحمته . انتهى . فانظروا عظم حسن ظنه بربه وصدق رجاءه من فضله وعدم قنوطه من فرجه ورحمته رغم ما هو فيه من البلاء الشديد . وقال تعالى ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ سورة فصلت نقل بن كثير عن الحسن قوله : ألا إنما عمل الناس على قدر ظنونهم بربهم ، فأما المؤمن فأحسن الظن بربه فأحسن العمل ، وأما الكافر والمنافق فأساءا الظن بالله فأساءا العمل . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى (أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم) متفق عليه وعن جابرٍ رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام يقول (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله) رواه مسلم . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا عدوى ولا هامة ولا طيرة وأحب الفأل الحسن) رواه مسلم وعنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه الفأل الحسن ويكره الطيرة . (١) قال العلماء : إنما كان يعجبه الفأل لأن فيه حسن ظنٍ بالله والطيرة فيها إساءة ظن بالله . ومن ذلك أنه لما رأى سهيل بن عمرو قادماً في صلح الحديبية قال (سهل الله أمركم) (٢)

١- رواه بن ماجة وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٤٩٨٥)

٢- رواه البخاري في الأدب المفرد وحسنه الألباني لغيرة

قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ سورة الحجرات فهؤلاء ارتكبوا منكرين وهي التجسس والغيبة لإساءتهم الظن بالناس . وقال تعالى ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ سورة يونس وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا) متفق عليه . وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا طال أحدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلا) متفق عليه وعند مسلم بزيادة (يتخونهم أو يلتمس عثراتهم) غير أن الراوي شك في هذه الزيادة هل هي من الحديث أو من تفسير الرواة . وعن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يطرق أهله ليلاً وكان لا يدخل إلا غدوة أو عشية . متفق عليه

وكل هذا من إحسان الظن بالمسلمين و لم يرد فيما أعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم اتخذ عيناً على المؤمنين إنما كانت عيونه على أعداء رب العالمين بل كان يكره أن يُخْبَرَ عن أحدٍ من المسلمين أنه فعل سوء .

قال تعالى﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ من (٣٦) سورة النحل وقال تعالى ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ سورة فصلت وقال تعالى مخبراً عن نوح عليه السلام﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ ﴾ سورة نوح فلم يترك طريقاً من طرق الدعوة إلا سلكه معهم مكث على ذلك قرابة العشرة قرون كما قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ سورة العنكبوت و لم ييأس من دعوتهم حتى جاءه الوحي بأنه لن يؤمن أحدٌ بعد كما قال تعالى ﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ سورة هود فعندئذٍ يئس منهم ودعا عليهم قال تعالى ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ ﴾ سورة نوح فبما أنهم لن يؤمنوا فالخوف أن يضلوا من آمن ويردونه إليهم فدعا عليهم خوفاً من ذلك . وهكذا سائر الأنبياء وظيفتهم الدعوة ويتحملون من أجلها أصناف الأذى وأنواع البلايا فلا يستسلمون بل ضربوا في الصبر أروع الأمثلة حتى جاءهم ما وعدهم ربهم من النصر كما قال تعالى ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ ﴾ سورة غافر وقوله تعالى ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ سورة الصافات ولقد لقي نبينا محمدٌ صلى الله عليه وسلم أصنافاً من الأذى في سبيل دعوته إلى الله فقيل عنه ساحر وشاعر وكاهن ومجنون وضرب وأدمي عقبيه ووضع عليه سلا الجزور وحوصر مع أتباعه وقراباته في الشعب ثلاث سنين حتى أكلوا ورق الشجر من الجوع وهجِّر من وطنه ...الخ من أنواع البلايا التي لا يصبر عليها إلا الأنبياء ، فجزاه الله خير ما جازى نبياً عن أمته وحشرنا في زمرته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين إنه جوادٌ كريم .

قال تعالى ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ سورة التوبة وقال تعالى ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ سورة آل عمران وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لما نزلت ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ سورة الشعراء قال النبي صلى الله عليه وسلم (يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا ، ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا ، ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئا) (١) وعنه رضي الله عنه قال : دعا النبي صلى الله عليه وسلم قريشاً فاجتمعوا فعم وخص فقال (يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار ، با بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لكم من الله شيئاً غير أن لكم رحماً سأبلها ببلالها) (٢) وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلةً فزعاً يقول (سبحان الله ماذا أُنْزِلَ الليلة من الخزائن ؟ وماذا أنزل من الفتن ؟ من يوقظ صواحب الحجرات – يريد أزواجه – لكي يصلين ؟ رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة) (٣) وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : دخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى فاطمة من الليل فأيقظنا للصلاة ثم رجع إلى بيته فصلى هوياً من الليل فلم يسمع لنا حساً فرجع إلينا فأيقظنا فقال (قوما فصليا) قال فجلست وأنا أعرك عيني وأقول إنا والله ما نصلي إلا ما كتب الله لنا إنما أنفسنا بيد الله فإن شاء أن يبعثنا بعثنا قال فولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول ويضرب بيده على فخذه ما نصلي إلا ما كتب الله لنا ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾ (٤)

١- متفق عليه

٢- رواه مسلم

٣- أخرجه البخاري .

٤- رواه البخاري في الأدب المفرد ورواه النسائي وبن خزيمة وصححه الألباني .

قال تعالى ﴿ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ من (١٩٥) سورة البقرة وقال تعالى﴿ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ سورة هود وقال النبي صلى الله عليه وسلم (إن الله تعالى كتب الإحسان على كل شيء) فلم يخصصه بمسلمٍ دون كافر بل ولا بآدميٍ دون غيره بل هو مأمورٌ به لكل المخلوقات ولذلك قال (فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته) رواه مسلم ولذلك نهى الشارع عن التمثيل بجثث المشركين فضلاً عمن سواهم ، ونهى عن تعذيب الحيوان وألا يحد الشفرة أمامها وألا يذبحها وأختها تنظر إليها ، وكل هذا من الإحسان المأمور به شرعاً ، والرسل أول الناس امتثالاً قال تعالى﴿ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ سورة يوسف فشهدوا أن يوسف عليه السلام من المحسنين وهو كذلك وكذلك جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام . ومن ذلك رفقهم بالناس وأمرهم بالرفق : قال صلى الله عليه وسلم (إن الله عز وجل يحب الرفق في الأمر كله) متفق عليه وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إن الله تعالى رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه) رواه مسلم . وعنها أيضاً مرفوعاً (عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش ، إن الرفق لا يكون في شيءٍ إلا زانه ، ولا يترع من شيءٍ إلا شانه) رواه مسلم وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير ، ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير ، أثقل شيءٍ في ميزان المؤمن يوم القيامة حسن الخلق ، وإن الله ليبغض الفاحش البذيء) (١) وعن أنسٍ رضي الله عنه قال : بينما نحن في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء أعرابيٌ فقام يبول في المسجد فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مه مه قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تزرموه دعوه فتركوه حتى بال ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه فقال له إن هذه المساجد لا تصلح لشيءٍ من هذا البول ولا القذر إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن أو كما قال صلى الله عليه وسلم ثم أمر رجلاً من القوم فجاء بدلوٍ من ماءٍ فصبه عليه) متفق عليه وفي لفظ (أهريقوا عليه سجلاً من ماء أو دلواً من ماء إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين) (٢) وفي رواية أن هذا الأعرابي قال (اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً) فقال النبي صلى الله عليه وسلم (لقد حجرت واسعاً) (٣) وكان هذا الأعرابي يقول بعد أن فقه (بأبي هو وأمي رسول الله لم يسب ولم يؤنب ولم يضرب) (٤)

وهذا يدلُّ على تأثر الأعرابي الشديد بحسن تعامل النبي صلى الله عليه وسلم ورفقه به . قال الحافظ ابن حجر بعد حديث أنس : وفيه الرفق بالجاهل وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف إذا لم يكن ذلك منه عناداً ، ولاسيما إن كان ممن يحتاج إلى استئلافه . وفيه رأفة النبي صلى الله عليه وسلم وحسن خلقه (٥) وعن معاوية ابن الحكم رضي الله عنه قال : بينا أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ عطس رجلٌ من القوم فقلت يرحمك الله . فرماني القوم بأبصارهم . فقلت : واثكل أمياه ما شأنكم تنظرون إليَّ ، فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم فلما رأيتهم يصمتونني لكني سكت ، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه فو الله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني قال (إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيءٌ من كلام الناس إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) رواه مسلم وهذا في الجاهل وفي الأمر الذي قد يجهل ، وأما العالم أو ما علم بالضرورة ديناً وعادةً تحريمه فإنه يعنف لو خالف فيه ولذا جاء عن معاوية نفسه أنه قال (اطلعت إلى غنيمةٍ لي ترعاها جارية لي في قبل أحد والجوانية فوجدت الذئب قد ذهب منها بشاة وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون فصككتها صكةً ثم انصرفت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فعظَّم ذلك عليَّ فقلت يا رسول الله أفلا أعتقها قال ادعها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أين الله عز وجل قالت في السماء قال فمن أنا قالت أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنها مؤمنة فاعتقها) (٦) فقوله (فعظَّم ذلك عليَّ) أي أنكره بشدة لأن القسوة على المماليك معلومٌ من الدين والعادة كراهته وتحريمه فلم يعامله كما عامله أول مرةٍ في كلامه في الصلاة لأنه قد يخفى على حديث العهد بالدين تحريم الكلام في الصلاة .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى قوماً يقعون في منكر فإنه لا يصرح بأسماءهم بل يقول ما بال قومٍ يقولون أو يفعلون كذا . وهذا من الرفق بالمدعو وخشية نفوره ، قال الشافعي :

تعمدني بنصحك بانفـــرادٍ وإياك ونصحي في الجمـــاعة

فإن النصح بين الناس نوعٌ من التوبيخ لا أرضى استماعه

١- رواه البخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني .

٢-رواه الترمذي صححه الألباني .

٣-رواه البخاري أن أعرابياً قال فذكره و لم يشر إلى حادثة بوله في المسجد إلا أن بعض العلماء جعل القصة واحدة .

٤-رواه بن ماجة وحسنه الألباني في إرواء الغليل .

٥-فتح الباري (٣٨٨/١) ٦-رواه النسائي وصححه الألباني

إن فضل الصبر عظيم كما قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ سورة البقرة وقال تعالى ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ سورة البقرة وقال تعالى ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ سورة آل عمران وقال تعالى ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ سورة آل عمران وقال تعالى ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ سورة الأنفال وقال تعالى ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ ﴾ من (٣٥) سورة الحج وقال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ سورة آل عمران

وقد كان الأنبياء عليهم السلام أكثر الناس صبراً فقد صبروا على أنواعٍ من الأذى والبلايا في سبيل تبليغ دين الله جل وعلا قال تعالى ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ من (٣٥) سورة الأحقاف وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال :كأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون . متفق عليه وقال النبي صلى الله عليه وسلم (أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلباً اشتد بلاؤه وإن كان في دينه رقةً ابتلي على قدر دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة) (١) وعن أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو موعوك عليه قطيفة فوضع يده فوق القطيفة فقال ما أشد حماك يا رسول الله قال (إنا كذلك يشدد علينا البلاء ويضاعف لنا الأجر) ثم قال يا رسول الله من أشد الناس بلاء ؟ قال (الأنبياء) قال ثم من ؟ قال (العلماء) قال ثم من ؟ قال (الصالحون كان أحدهم يبتلى بالقمل حتى يقتله ويبتلى أحدهم بالفقر حتى ما يجد إلا العباءة يلبسها ولأحدهم كان أشد فرحاً بالبلاء من أحدكم بالعطاء) (٢)

وأما القصص في صبر الأنبياء فلا تكاد تحصى قال تعالى عن أيوب ﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ من (٤٤) سورة ص وقال تعالى ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ سورة الأنبياء وقال تعالى ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ سورة الصافات وعن خباب بن الأرت

رضي الله عنه قال : أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردةً في ظل الكعبة فشكونا إليه فقلنا ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا فجلس محمراً وجهه فقال (قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض ثم يؤتى بالمنشار فيجعل على رأسه فيجعل فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمة من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب ما بين صنعاء وحضر موت ما يخاف إلا الله تعالى والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون) رواه البخاري

وأما صبر نبينا فحدث ولا حرج فقد صبر على أذى قومه وابتلي بموت أبنائه وبالجوع وغير ذلك فكان نعم الصابر على البلاء ، قال أنس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاوياً هو وأهله لا يجدون عشاءً وكان أكثر خبزهم خبز الشعير . (٣) وقالت عائشة رضي الله عنها ما شبع آل محمدٍ صلى الله عليه وسلم من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض . متفق عليه وكان لا يجد ما يتيدم به إلا الخل فيقول (نعم الإدام الخل) رواه مسلم وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال (أو لم رسول الله صلى الله عليه وسلم على صفية بتمر وسويق) (٤) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : إن أناساً من الأنصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم حتى نفد ما عنده . فقال (ما يكون عندي من خيرٍ فلن أدَّخِرَهُ عنكم ومن يستعفَّ يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله ، ومن يتصبر يصبره الله ، وما أعطي أحدٌ عطاءً هو خير وأوسع من الصبر) متفق عليه وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ فقال (لقد لقيت من قومك فكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن كلال فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أفق إلا في قرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابةٍ قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال إن الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم . قال فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال يا محمد إن الله قد سمع قول قومك وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك إن شئت أطبق عليهم الأخشبين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا . متفق عليه

١- رواه أحمد والترمذي وبن ماجه وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٩٩٢).

٢- رواه ابن ماجه وابن أبي الدنيا والحاكم واللفظ له وقال صحيح على شرط مسلم وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب

٣- رواه أحمد والترمذي وبن ماجة وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٤٨٩٥)

٤-رواه أحمد وأبو داود والترمذي وبن ماجة وصححه الألباني

قال تعالى عن يوسف أنه قال لأخوته بعد ما لاقاه منهم من أذى﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ سورة يوسف وقال تعالى﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ سورة آل عمران وقال تعالى لنبيه ﴿ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾ من (٨٥)سورة الحجر وقال تعالى ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ سورة المؤمنون وقال تعالى ﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ سورة فصلت وقال تعالى﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ سورة الأعراف فكان النبي صلى الله عليه وسلم أعظم الممتثلين لأمر ربه فعن أنس رضي الله عنه قال :كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه بُردٌ نجرانيٌ غليظُ الحاشيةِ فأدركه أعرابيٌ فجبذه جبذةً شديدة ورجع نبي الله صلى الله عليه وسلم في نحر الأعرابي حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثرت به حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال : يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك . فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضحك ثم أمر له بعطاء . متفق عليه وعن أنس رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم عند بعض نسائه فأرسلت إحدى أُمَّهات المؤمنين بصحفةٍ فيها طعام ، فضربت التي النبي في بيتها يد الخادم ، فسقطت الصحفة ، فانفلقت فجمع النبي فِلَقَ الصحفة ، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة ، ويقول (غارت أُمُّكم) ثم حبس الخادم حتى أُتيَ بصحفةٍ من عند التي هو في بيتها ، فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كُسِرت صحفتها وأمسك المكسورة في بيت التي كَسرت . رواه البخاري وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأشج عبد القيس (إن فيك لخصلتين يحبهما الله الحلم والأناة) رواه مسلم . وعن معاذ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (من كظم غيظاً وهو قادرٌ على أن ينفذه دعاه الله عز وجل على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره الله من الحور العين ما شاء) (١)

قال الشافعي رحمه الله :

يخاطبني السفيه بكل قبحٍ فأكره أن أكون له مجيباً

يزيد سفاهةً فأزيد حِلْماً كعودٍ زاده الإحراق طيباً

١- رواه أبو داود وحسنه الألباني انظر صحيح الجامع حديث رقم (٦٥٢٢)

قال تعالى ﴿ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ من (٣٥) سورة النحل وقال تعالى ﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ ﴾ من (٥٤) سورة النـــور وقال تعالى ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ ﴾ سورة النحـــل وقال تعالى عن نوحٍ أنه قال لقوم ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ ﴾ سورة نوح وهكذا هو قول سائر الأنبياء ونشهد أنهم قد بلغوا البلاغ المبين لأممهم فجزاهم الله أعظم الجزاء وجمعنا بهم في دار كرامته ومستقر رحمته .

وعن الحارث الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن فكأنه أبطأ بهن فأوحى الله إلى عيسى إما أن يبلغهن أو تبلغهن فأتاه عيسى فقال له إنك أمرت بخمس كلمات أن تعمـــل بهن وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن فإما أن تبلغهن وإما أن أبلغهن فقال له يا روح الله إني أخشى إن سبقتني أن أعذب أو يخسف بي فجمع يحيى بني إسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد فقعد على الشرفات فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وآمركم أن تعملوا بهن ، وأولهن أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً فإن مثل من أشرك بالله كمثل رجلٍ اشترى عبداً من خالص ماله بذهبٍ أو ورق ثم أسكنه داراً فقال اعمل وارفع إليَّ فجعل العبد يعمل ويرفع إلى غير سيده فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك وإن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأمركم بالصلاة وإذا قمتم إلى الصلاة فلا تلتفتوا فإن الله عز وجل يقبل بوجهه علـــى عبده ما لم يلتفت ، وأمركم بالصيام ومثل ذلك كمثل رجلٍ معه صرة مسك في عصابة كلهم يجد ريح المسك وإن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، وأمركم بالصدقة ومثل ذلك كمثل رجلٍ أسره العدو فشدوا يديه إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه فقال لهم هل لكم أن أفتدي نفسي منكم فجعل يفتدي نفسه منهم بالقليل والكثير حتى فك نفسه ، وأمركم بذكر الله كـــثيراً ومثل ذلك كمثل رجلٍ طلبه العدو سراعاً في أثره فأتى حصناً حصيناً فأحرز نفسه فيه وإن العبـــد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله تعالى . وأنا آمركم بخمسٍ أمرني الله بهن الجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد في سبيل الله فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلـــع ربقـــة الإسلام من عنقه إلا أن يراجع ومن دعا بدعوة الجاهلية فهو من جثاء جهنم وإن صـــام وصـــلى وزعم أنه مسلم فادعوا بدعوة الله التي سماكم بها المسلمين المؤمنين عباد الله) (١)

١-رواه أحمد والنسائي وبن حبان وغيرهم وصححه الألباني في صحيح الجامع احديث رقم (١٧٢٤)

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال : إن فتىً شاباً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ائذن لي بالزنى . فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا مه مه فقال ادنه . فدنا منه قريباً قال فجلس ، قال (أتحبه لأمك) قال : لا والله جعلني الله فداك . قال (ولا الناس يحبونه لأمهاتهم) قال (أفتحبه لابنتك) قال : لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك . قال (ولا الناس يحبونه لبناتهم) قال (أتحبه لأختك) قال : لا والله جعلني الله فداك . قال (ولا الناس يحبونه لأخواتهم) قال (أتحبه لعمتك) قال : لا والله جعلني الله فداك . قال (ولا الناس يحبونه لعماتهم) قال (أتحبه لخالتك) قال : لا والله جعلني الله فداك . قال (ولا الناس يحبونه لخالاتهم) قال فوضع يده عليه وقال (اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه) فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء . (١)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً من بني فزارة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (إن امرأتي ولدت غلاماً أسود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لك من إبل قال نعم قال فما ألوانها قال حمر قال فهل فيها من أورق قال إن فيها لورقاً قال فأنى ترى أتى ذلك قال عسى أن يكون نزعه عرق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا عسى أن يكون نزعه عرق) متفق عليه

وقال صلى الله عليه وسلم (مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها ، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر) متفقٌ عليه

وقال صلى الله عليه وسلم (ضرب الله تعالى مثلاً صراطاً مستقيماً وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يقول يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تتعوجوا وداع يدعو من فوق الصراط فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه فالصراط الإسلام والسوران حدود الله تعالى والأبواب المفتحة محارم الله تعالى وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله والداعي من فوق واعظ الله في قلب كل مسلم) (٢) وهذا التعليم بضرب الأمثال وهناك أنواعٌ أخرى من التعليم كالتكرار للتنبيه على عظم الأمر كحديث (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً الإشراك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور ألا وشهادة الزور وقول الزور وكان متكئاً فجلس فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت) متفق عليه

١- رواه أحمد وصحح إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة حديث رقم (٣٧٠)

٢-رواه أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٣٨٨٧)

وكالتعليم بتعابير الوجه واليدين ونحوها كمصه صلى الله عليه وسلم لأصبعه يحاكي رضاع الطفل الذي تكلم في المهد . (١) وكأسلوب التشويق نحو حديث أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال : كنت أصلي في المسجد فدعاني النبي صلى الله عليه وسلم فلم أجبه حتى صليت ثم أتيته . فقلت يا رسول الله إني كنت أصلي فقال ألم يقل الله (استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم) ثم قال لي (ألا أعلمك أعظم سورةٍ في القرآن قبل أن تخرج من المسجد) فأخذ بيدي فلما أراد أن يخرج قلتُ له ألم تقل لأعلمنك سورةً هي أعظم سورةٍ من القرآن قال (الحمد لله رب العالمين) هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته) (٢) وغير ذلك من الأساليب التي تبين غاية اهتمامهم بتبليغ دين الله للناس ومخاطبتهم بكل الوسائل التي توصل المعلومة الدينية إليهم .

١- رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب (واذكر في الكتاب مريم)

٢- رواه البخاري في كتاب التفسير باب ما جاء في فاتحة الكتاب

قال تعالى ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ سورة يونس وقال تعالى ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾ سورة طـــه وقال تعالى ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾ سورة الحديد وقال تعالى﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ سورة القصص ولا شك أن الأنبياء هم خيرة الخلق ولو شاء الله لجعل لهم البطحاء ذهباً وجعلهم ملوكاً ولكن الله اختار لهم الآخرة ورضوا هم بما اختاره الله لهم فكانوا نعم الزاهدين في الدنيا فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليه عمر وهو على حصيرٍ قد أثر في جنبه فقال : يا رسول الله لو اتخذت فراشاً أوثر من هذا . فقال (ما لي وللدنيا ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكبٍ سار في يومٍ صائف فاستظل تحت شجرةٍ ساعة ثم راح وتركها) (١) وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على حصير قال فجلست فإذا عليه إزاره وليس عليه غيره وإذا الحصير قد أثر في جنبه وإذا أنا بقبضةٍ من شعيرٍ نحو الصاع وقرظٍ في ناحيةٍ في الغرفة وإذا إهابٌ معلق فابتدرت عيناي فقال : ما يبكيك يا ابن الخطاب؟ فقال : يا نبي الله وما لي لا أبكي وهذا الحصير قد أثر في جنبك وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى وذاك كسرى وقيصر في الثمار والأنهار وأنت نبي الله وصفوته وهذه خزانتك . قال (يا ابن الخطاب أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا ؟) قلت : بلى . وفي لفظ فقال (أولئك عجلت لهم طيباتهم وهي وشيكة الانقطاع وإنا قوم أخرت لنا طيباتنا في آخرتنا) (٢) وكأنه يعرض إلى قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا ۖ فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ سورة الأحقاف

١-رواه أحمد وابن حبان في صحيحه والبيهقي وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٥٦٦٩)

٢- رواه ابن ماجه والحاكم وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب حديث رقم (٣٢٨٤)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : إنما كان فراش رسول الله الذي ينام عليه من أدمٍ حشوه ليف . متفق عليه وقيل لها : ماذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل في بيته ؟ قالت : كان بشراً من البشر يفلي ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه (١) وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم) فقال أصحابه : وأنت ؟ فقال (نعم كنت أرعى على قراريط لأهل مكة) رواه البخاري . وعن أبي مسعود رضي الله عنه قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجلٌ فكلمه فجعل ترعد فرائصه فقال له (هون عليك فإني لست بملك إنما أنا بن امرأةٍ تأكل القديد) (٢) وكان لا يأكل متكئاً ويقول (إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد) (٣) وعن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ ألهاكم التكاثر قال (يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت) رواه مسلم وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله يقول (إن الدنيا ملعونةٌ ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالماً أو متعلما) (٤) وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً) وفي رواية (كفافاً) . متفق عليه وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال : ألستم في طعامٍ وشرابٍ ما شئتم ؟ لقد رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم وما يجد من الدقل ما يملأ بطنه . رواه مسلم وعن عائشة رضي الله عنها قالت : ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم . متفق عليه

قال بن بطال : من أخلاق الأنبياء التواضع والبعد عن التنعم وامتهان النفس لِيُسْتَنَ بهم ولئلا يخلدوا إلى الرفاهية المذمومة وقد أشير إلى ذمها بقوله تعالى ﴿ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ ﴾ سورة المزمل قال بن كثير : أي أصحاب النعمة والغنى ، الذي طغوا حين وسع الله عليهم من رزقه ، وأمدهم من فضله كما قال تعالى ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾ ﴾ سورة العلق

١- رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٤٩٩٦)

٢-رواه بن ماجه وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٧٠٥٢)

٣-رواه بن حبان وغيره وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٨،٧،٦)

٤-رواه الترمذي وبن ماجه وحسنه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (١٦٠٩)

وعن عياض المجاشعي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحدٌ على أحدٍ ولا يبغي أحدٌ على أحد) رواه مسلم ويستفاد من ذلك :

أولاً / بغض الأنبياء للكبر والتكبر قال تعالى ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ سورة الزمر وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صورة الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون إلى سجنٍ من جهنم يسمى بولس تعلوهم نار الأنيار ويسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال) (١) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى (الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما أدخلته النار) وفي رواية (قذفته في النار) رواه مسلم

ثانياً / أن زهدهم في الدنيا ليس معناه ترك المباحات بالكلية كما قال تعالى ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَـٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ سورة الأعراف وقال تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ سورة المؤمنون وقال تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ سورة البقرة وقال تعالى﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ سورة المائدة وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال جاء ثلاثة رهطٍ إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم أما أنا فإني أصلي الليل أبداً وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فقال (أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني) متفق عليه

١- رواه البخاري في الأدب المفرد والترمذي وأحمد وغيرهم وحسنه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٨٠٤٠)

بل وقد طلب نبي الله سليمان عليه السلام من ربه طلباً غريباً قال تعالى مخبراً عنه ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ سورة ص لكن هذا النعيم لم يفتنه عن دينه بل صار به أكثر تقرباً إلى الله كما قال تعالى ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ سورة النمل ولعل الحكمة والله تعالى أعلم في إعطاء سليمان عليه السلام من الملك والنعيم في الدنيا الذي لم يحصل لأحدٍ قبله ولن يحصل لأحدٍ بعده ، حتى يعلم الناس أن الله قادرٌ على أن يعطي الأنبياء من النعيم ما لا يستطيعه ملوك الكفرة لو اجتمعوا وإنما منعه عن أنبياءه والصالحين من عباده لحكمة يعلمها ولئلا ينشغلوا بها عن المطلوب منهم من تعظيم الله والتفرغ لعبادته والدعوة لدينه ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء)(١)

١-رواه بن ماجة والترمذي وصححه الألباني انظر حديث رقم (٥٢٩٢) في صحيح الجامع

قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ ﴾ سورة هود وقال تعالى ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ سورة الذاريات

قال بن كثير رحمه الله : قوله عزَّ وجلَّ ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ ﴾ أي انسل خفيةً في سرعة ﴿ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴾ أي من خيار ماله ، وفي الآية الأُخْرى ﴿ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾ أي مشوي على الرَّضْف – الحجارة المحماة – ﴿ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ ﴾ أي أدناه منهم ﴿ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ ؟ تلطُفٌ في العبارة وعرضٌ حسن ، وهذه الآية انتظمت آداب الضيافة فإنه جاء بطعامٍ من حيث لا يشعرون بسرعة ، وأتى بأفضل ما وجد من ماله وهو عجلٌ فتيٌّ سمين مشوي ، فقربه إليهم لم يضعه وقال اقتربوا ، بل وضعه بين أيديهم ، ولم يأمرهم أمراً يشق على سامعه بصيغة الجزم بل قال ﴿ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ ؟ على سبيل العرض والتلطف كما يقول القائل اليوم : إن رأيت أن تتفضل وتحسن وتتصدق فافعل .انتهى من تفسيره .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال : ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط فقال : لا . متفق عليه وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير . متفق عليه وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد . (١) وعن عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل الهدية ويثيب عليها . رواه البخاري وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه : أن امرأة جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببردة قالت يا رسول الله إني نسجت هذه بيدي لأكسوكها فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم محتاجاً إليها فخرج علينا فيها وإنها لإزاره فجاءه رجل فقال يا رسول الله ما أحسن هذه البردة اكسنيها قال نعم فلما دخل طواها وأرسل بها إليه فقال له القوم والله ما أحسنت كسيها النبي صلى الله عليه وسلم محتاجاً إليها ثم سألته إياها وقد علمت أنه لا يرد سائلاً فقال إني والله ما سألته إياها لألبسها ولكن سألته إياها لتكون كفني فقال سهل فكانت كفنه يوم مات) (٢)

١- رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٤٨٤٦)

٢- رواه بن ماجه وصححه الألباني

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه بينما هو يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مقفله من حنين فعلقت الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى سمرةٍ فخطفت رداءه فوقف النبي صلى الله عليه وسلم فقال (أعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه العضاة نَعَمٌ لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً) (١) وعن أنس رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم غنماً بين جبلين فأعطاها إياه فأتى قومه فقال أي قوم أسلموا فو الله إن محمداً ليعطي عطاء من لا يخاف الفقر . (٢)

١- رواه البخاري .

٢- رواه مسلم .

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على رجلٍ من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (دعه فإن الحياء من الإيمان) متفق عليه وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الحياء لا يأتي إلا بخير) وفي رواية (الحياء خير كله) متفق عليه وعن أنسٍ وابن عباسٍ قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن لكل دين خلقاً وإن خلق الإسلام الحياء) (١) وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (الإيمان بضعٌ وسبعون شعبه أو بضعٌ وستون شعبه ، فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياءُ شعبةٌ من الإيمان) متفق عليه وعن قرة بن إياس رضي الله عنه قال :كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فذُكِرَ عنده الحياءُ فقالوا : يا رسول الله الحياء من الدين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (بل هو الدين كله) ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الحياء والعفاف والعي عي اللسان لا عي القلب والعفة من الإيمان وإنهن يزدن في الآخرة وينقصن من الدنيا وما يزدن في الآخرة أكثر مما ينقصن من الدنيا وإن الشح والعجز والبذاء من النفاق وإنهن يزدن في الدنيا وينقصن من الآخرة وما ينقصن من الآخرة أكثر مما يزدن من الدنيا) (٢ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الحياء والإيمان قرناء جميعاً فإذا رفع أحدهما رفع الآخر) (٣) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياءً من العذراء في خدرها ، وكان إذا كره شيئاً عرف في وجهه . متفق عليه وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (استحيوا من الله حق الحياء) قال : قلنا يا نبي الله إنا لنستحيي والحمد لله . قال (ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء : أن تحفظ الرأس وما وعى ، وتحفظ البطن وما حوى ، وتذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا ، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء) (٤) وعن عطاء عن يعلى رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً يغتسل بالبراز بلا إزار فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال صلى الله عليه وسلم (إن الله عز وجل حيي ستير يحب الحياء والستر فإذا اغتسل أحدكم فليستتر) (٥) والمراد الاستتار عن الناس ولذلك إذا أبعد واستتر عن الناس جاز أن يغتسل عرياناً وقد فعله الأنبياء فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن موسى كان رجلاً حيياً ستيراً لا يرى من جلده شيء استحياءً فآذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا ما تستر هذا التستر إلا من عيبٍ بجلده إما

برص أو أدرة وإن الله أراد أن يبرئه فخلا يوماً وحده ليغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فجمع موسى في إثره يقول ثوبي يا حجر ثوبي يا حجر حتى انتهى إلى ملأٍ من بني إسرائيل فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله وقالوا والله ما بموسى من بأس وأخذ ثوبه وطفق بالحجر ضرباً فو الله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً) متفق عليه وعنه أيضاً رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (بينا أيوب يغتسل عرياناً فخرَّ عليه جرادٌ من ذهب فجعل أيوب يحثي في ثوبه فناداه ربه يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى ؟ قال : بلى وعزتك ولكن لا غنى بي عن بركتك) رواه البخاري

فينبغي على المؤمن :

أولاً / أن يستحيي من ربه بحفظ جوارحه عن الوقوع في المحرمات والتهاون عن فعل الطاعات فعبر النبي صلى الله عليه وسلم عن الأولى وهي ترك المحرمات بحفظ الرأس والبطن إذ الشهوات تأتي من قبلهما فشهوة النظر والسماع والشم والتذوق والكلام في الرأس وشهوة الجماع والأكل والشرب في البطن وإنما بقية الجوارح عمالٌ لتوصيل الشهوات إلى هذه المناطق .

وعبر عن الثانية وهي التكاسل عن الطاعات بتذكر الموت والدار الآخرة فإنه حينئذٍ سيعمل جاهداً ليبلغ أعلى الجنان ويسلم من شر النيران وإنما تكاسل الناس عن العمل للآخرة لما نسوا الموت والدار الآخرة .

ثانياً / أن يستحيي من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يخالفه في أوامره أو يقع في نواهيه وان ينصر دينه ويحي سنته ويتعلمها ويعمل بها ويدعوا إليها .

ثالثاً / أن يستحيي من خلق الله فيتجنب ما يؤذيهم أو يخدش كرامته عندهم ومن ذلك الصخب في النوادي والأسواق بالسباب والكلام البذيء أو فعل ما لا يرضاه أهل الفطر السليمة قال النبي صلى الله عليه وسلم (أن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستحي فاصنع ما شئت) رواه البخاري

١- رواه بن ماجه وحسنه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٢١٤٩)

٢-) رواه الطبراني باختصار وأبو الشيخ في الثواب واللفظ له قال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب صحيح لغيره

٣- رواه الحاكم وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب حديث رقم (٢٦٣٦)

٤-رواه الترمذي وحسنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب حديث رقم (١٧٢٤)

٥- رواه أبو داود وصححه الألباني .

قال تعالى ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ من (١٥٢) سورة الأنعام وقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ سورة النساء وقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ سورة النحل وقال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ سورة المائدة وعن عائشة رضي الله عنها أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالوا : ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه أسامة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أتشفع في حدٍ من حدود الله) ثم قام فاختطب ثم قال (إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) متفق عليه وعن النعمان بن بشيرٍ رضي الله عنهما أن أباه أتى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني نحلت ابني هذا غلاماً فقال أكل ولدك نحلت مثله ؟ قال : لا . قال (فأرجعه) وفي رواية أنه قال (أيسرك أن يكونوا إليك في البر سواء ؟) قال : بلى . قال (فلا إذن) وفي رواية أنه قال أعطاني أبي عطيةً فقالت عمرة بنت رواحة (يعني أمه) لا أرضى حتى تُشهِدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطيةً فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله قال أعطيت سائر ولدك مثل هذا ؟ قال : لا . قال (فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم) قال فرجع فرد عطيته . وفي رواية أنه قال (فلا تشهدني إذن فإني لا أشهد على جور) أي ظلم . متفق عليه وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال كنا يوم بدر كل ثلاثةٍ على بعير فكان أبو لبابة وعلي بن أبي طالب زميلي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فكانت إذا جاءت عقبة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالا نحن نمشي عنك قال ما أنتما بأقوى مني وما أنا بأغنى عن الأجر منكما . (١)

ومن تمام عدل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (القود من النفس) فعن أسيد بن الحضير رضى الله تعالى عنه قال : بينما هو يحدث القوم وكان فيه مزاح بيناً يضحكهم فطعنه النبي صلى الله عليه وسلم

في خاصرته بعود فقال أصبرني قال (اصطبر) قال إن عليك قميصاً وليس علي قميص فرفع النبي صلى الله عليه وسلم عن قميصه فاحتضنه وجعل يقبل كشحه قال إنما أردت هذا يا رسول الله . قوله أصبرني يريد أقدني من نفسك وقوله اصطبر معناه استقد . (٢) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : بينما رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يقسم قَسْماً أقبل رجلٌ فأكبّ عليه فطعنه رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بعُرْجُونٍ كان معه فجرح بوجهه فقال له رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم (تعال فاستقد) فقال : بل عفوت يا رسول اللّه . (٣) وعن أبي فراس قال : خطبنا عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه فقال: إني لم أبعث عُمَّالي ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم ، فمن فعل به ذلك فليرفعه إليّ أقصه منه ، قال عمرو بن العاص : لو أن رجلاً أدَّب بعض رعيته أتقصه منه ؟ قال: إي والذي نفسي بيده إلا أقصه وقد رأيت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أقصَّ من نفسه . (٤)

١- رواه في شرح السنة وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة

٢- رواه البيهقي وأبو داود وصححه الألباني

٣-رواه أبو داود والبيهقي وابن حبان وأحمد وغيرهم وضعفه الألباني

٤-رواه ابو داود وضعفه الألباني

قال يوسف عليه السلام ﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ﴾ في قصة امرأة العزيز ويظهر المولى براءة عباده المظلومين فأظهر براءة يوسف بشاهدٍ من أهل بيت المرأة كما قال تعالى ﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ سورة يوسف ثم سجن ظلماً بعد معرفتهم ببراءته فلما طلبه الملك أراد أن يثبت براءته عنده قال تعالى ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ ۚ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ ۚ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ سورة يوسف فأظهر الله براءته أخرى على لسان الفاعل فسبحان من يظهر براءة أولياءه بعد أن يبتليهم كما أظهر براءة مريم عندما جاءت قومها بولدٍ وهي غير ذات زوج كما قال تعالى ﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ۖ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ سورة مريم فأنطقه الله وهو في المهد ليثبت براءة أمه وكذا في قصة جريج وقصة عائشة الصديقة بنت الصديقة حين أنزل الله براءتها في كتابه فلله الحمد والمنة على حفظ أولياءه وإظهار صدقهم وبراءتهم ، وعن صفية بنت حيي رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم : أنها جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوره وهو معتكفٌ في المسجد في العشر الأواخر من شهر رمضان فتحدثت عنده ساعةً من العشاء ثم قامت تنقلب فقام معها رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها حتى إذا بلغت باب المسجد الذي كان عند مسكن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم مرَّ بهما رجلان من الأنصار فسلما على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نفذا فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم (على رسلكما إنها صفية بنت حيي) قالا : سبحان الله يا رسول الله وكبر عليهما ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الشيطان يجري من بن آدم مجرى الدم وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً) وفي رواية (شراً) متفق عليه

وعن عائشة رضي الله عنها قالت سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الجدر أمن البيت هو ؟ قال (نعم) قلت : فما لهم لم يدخلوه في البيت ؟ قال (إن قومك قصرت بهم النفقة) قلت فما شأن بابه مرتفعاً ؟ قال (فعل ذلك قومك ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا ولولا أن قومك حديث عهدهم بالجاهلية فأخاف أن تنكر قلوبهم أن أدخل الجدر في البيت وأن ألصق بابه بالأرض) متفق عليه وعند مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها (يا عائشة لولا أن قومك حديث عهد بشرك أو بجاهلية لهدمت الكعبة فألزقتها بالأرض وجعلت لها بابين باباً شرقياً وباباً غربياً وزدت فيها من الحجر ستة أذرع فإن قريشاً اقتصرتها حين بنت الكعبة)

وقال على بن أبي طالب رضي الله عنه : حدثوا الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله . رواه البخاري

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : ما أنت محدثاً قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة . رواه مسلم

وفي تاريخ عبد الله بن جعفر السرخسي أن الشافعي كان يقول : لو أن محمد بن الحسن كان يكلمنا على قدر عقله ما فهمنا عنه ولكنه كان يكلمنا على قدر عقولنا فنفهمه . (١)

١- (الآداب الشرعية لابن مفلح (١٦٥/٢) ط مكتبة الرياض)

الوفاء في اللغة ضد الغدر وهو يعبر عن التمام والكمال ولذلك سمى الله الموت والنوم وفاةً لكون الأرواح بكمالها وتمامها عند الله لا يملك الإنسان منها شيئاً في ذلك الوقت ، ويقال (وفيتك دراهمك أي أعطيتكها تامةً كاملة)

وفي الاصطلاح / إتمام العهد وحفظ سابق المودة وإكمالها .

وقد أمر الله جل وعلا بالوفاء بالعهود قال تعالى ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ سورة النحل وقال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ ﴾ سورة الرعد

والوفاء بالعهد من صفات الرب كما قال تعالى ﴿ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥ ﴾ من (٨٠) سورة البقرة وقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ سورة التوبة

والوفاء من صفات الأنبياء كما قال تعالى ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾ سورة النجم قال بن كثير : قام بجميع الأوامر ، وترك جميع النواهي ، وبلغ الرسالة على التمام والكمال . انتهى . قلت : فيكون وفاءه بما عهد إليه ربه . وقال تعالى ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ ﴾ سورة مريم وعن أنسٍ رضي الله عنه قال : لما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطي من تلك العطايا في قريش وقبائل العرب ولم يكن في الأنصار منها شيء ، وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم حتى كثرت فيهم القالة حتى قال قائلهم : لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه فدخل عليه سعد بن عبادة فقال : يا رسول الله إن هذا الحي من الأنصار وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب ولم يكن في هذا الحي من الأنصار شيء . قال (فأين أنت من ذلك يا سعد ؟). قال : يا رسول الله ما أنا إلا امرؤ من قومي وما أنا من ذلك . قال (فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة) قال : فجاء رجال من المهاجرين فتركهم وجاء آخرون فردهم فلما اجتمعوا أتاه سعد فقال : قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار . قال : فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو له أهل ثم قال (يا معشر الأنصار ما قالةً بلغتني عنكم ؟ ووجدةً وجدتموها في أنفسكم ؟ ألم تكونوا ضلالاً فهداكم الله بي ، وعالةً فأغناكم الله ، وأعداءً فألف بين قلوبكم) . قالوا : بل الله ورسوله أمن وأفضل . قال (ألا تجيبوني يا معشر الأنصار ؟) قالوا : وبماذا نجيبك يا رسول الله

ولله ولرسوله المن والفضل ؟ قال (أما والله لو شئتم لقلتم فلصدَقتم ولصدِّقتم أتيتنا مكذباً فصدقناك ومخذولاً فنصرناك وطريداً فآويناك وعائلاً فواسيناك . أوجدتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في لعاعةٍ من الدنيا ؟ تألفت قوماً ليسلموا ؟ ووكلتكم إلى إسلامكم ، ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعون برسول الله صلى الله عليه وسلم في رحالكم ؟ فو الذي نفس محمدٍ بيده إنه لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار ولو سلك الناس شعباً لسلكت شعب الأنصار اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم ، وانصرفوا وهم يقولون : رضينا بالله رباً وبرسوله حظاً ونصيباً) متفق عليه ومن ذلك وفاءه صلى الله عليه وسلم لزوجته خديجة حتى قالت عائشة رضي الله عنها : ما غرت على أحدٍ من نساء النبي صلى الله عليه وسلم ما غرت على خديجة وما رأيتها ولكن كان يكثر ذكرها وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاءً ثم يبعثها في صدائق خديجة فربما قلت له كأن لم يكن في الدنيا امرأةٌ إلا خديجة . فيقول إنها كانت وكانت وكان لي منها ولد . رواه البخاري وعنها قالت : لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم بعثت زينب في فداء أبي العاص بمال وبعثت فيه بقلادةٍ لها كانت عند خديجة أدخلتها بها على أبي العاص قالت فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها رقةً شديدة وقال (إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها الذي لها فقالوا نعم) (١) وعنها أيضاً قالت : جاءت عجوزٌ إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو عندي فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم (من أنت ؟) قالت : أنا جثامة المزنية . فقال (بل أنت حسانة المزنية كيف أنتم ؟كيف حالكم ؟كيف كنتم بعدنا ؟) قالت : بخيرٍ بأبي أنت وأمي يا رسول الله . فلما خرجت قلت : يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال فقال (إنها كانت تأتينا زمن خديجة وإن حسن العهد من الإيمان) وعن أنسٍ رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتى بالشيء يقول (اذهبوا به إلى فلانة فإنها كانت صديقة خديجة ، اذهبوا به إلى بيت فلانة فإنها كانت تحب خديجة) (٢) ومن ذلك وفاءه لزوجاته فإنه لما نزلت آية التخيير ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ سورة الأحزاب بدأ بعائشة وقال لها (إني ذاكرٌ لك أمرًا فلا عليك أن لا تستعجلي حتى تستأمري أبويك) فقالت : أفي هذا أستأمر أبويَّ ؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة ، وأسألك أن لا تذكر لامرأةٍ من نسائك ما اخترتُ . فقال (إن الله لم يبعثني مُعَنِّتاً ولا متعنتاً ، ولكن بعثني معلماً ميسراً ، لا تسألني امرأةٌ منهن إلا أخبرتها) متفق عليه

والوفاء موجودٌ في عباد الله الصالحين فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار فقال ائتني بالشهداء أشهدهم فقال كفى بالله شهيداً قال فائتني بالكفيل قال كفى بالله كفيلاً قال صدقت فدفعها إليه إلى أجلٍ مسمىً فخرج في البحر فقضى حاجته ثم التمس مركباً يركبه ويقدم عليه للأجل الذي أجله فلم يجد مركباً فأخذ خشبةً فنقرها فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبها ثم زجج موضعها ثم أتى بها البحر فقال اللهم إنك تعلم أني تسلفت فلاناً ألف دينار فسألني كفيلاً فقلت كفى بالله كفيلاً فرضي بك فسألني شهيداً فقلت كفى بالله شهيداً فرضي بك وإني جهدت أن أجد مركباً أبعث إليه الذي له فلم أقدر وإني أستودعكها فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه ثم انصرف وهو في ذلك يلتمس مركباً يخرج إلى بلده فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعل مركباً قد جاء بماله فإذا الخشبة التي فيها المال فأخذها لأهله حطباً فلما نشرها وجد المال والصحيفة ثم قدم الذي كان أسلفه وأتى بالألف دينار فقال والله ما زلت جاهداً في طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركباً قبل الذي جئت فيه قال هل كنت بعثت إلي بشيء قال أخبرك أني لم أجد مركباً قبل الذي جئت فيه قال فإن الله قد أدى عنك الذي بعثته في الخشبة فانصرف بالألف الدينار راشداً) (٣)

١- رواه أبو داود وحسنه الألباني

٢- رواه البخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني

٣-رواه البخاري معلقاً مجزوماً والنسائي وغيره مسنداً وصححه الألباني انظر حديث رقم (٢٠٨١) في صحيح الجامع .

الصدق مطابقة الحكم (الفعل والخبر) للواقع وهو ضد الكذب ، وقد أمر الله جل وعلا به فقال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ سورة التوبة وقال تعالى ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ ﴾ سورة المائدة وقال تعالى ﴿ فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ ﴾ من (٢١) سورة محمد

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا . وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا) متفق عليه

وعن شداد بن الهاد : أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فآمن به واتبعه ثم قال أهاجر معك فأوصى به النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه فلما كانت غزوة غنم النبي صلى الله عليه وسلم سبياً فقسم وقسم له فأعطى أصحابه ما قسم له وكان يرعى ظهرهم فلما جاء دفعوه إليه فقال ما هذا قالوا قسمٌ قسمه لك النبي صلى الله عليه وسلم فأخذه فجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا ؟ قال (قسمته لك) قال ما على هذا اتبعتك ولكني اتبعتك على أن أرمى إلى ها هنا وأشار إلى حلقه بسهمٍ فأموت فأدخل الجنة . فقال (إن تصدق الله يصدقك) فلبثوا قليلاً ثم نهضوا في قتال العدو فأتى به النبي صلى الله عليه وسلم يحمل قد أصابه سهم حيث أشار فقال النبي صلى الله عليه وسلم (أهو هو؟) قالوا نعم قال (صدق الله فصدقه ثم كفنه النبي صلى الله عليه وسلم في جبته ثم قدَّمه فصلى عليه فكان فيما ظهر من صلاته (اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك فقتل شهيداً أنا شهيد على ذلك) رواه النسائي وصححه الألباني

والصدق متصفٌ به الرب جل في علاه قال تعالى ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴿٨٧﴾ ﴾ سورة النساء وقال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴿١٢٢﴾ ﴾ سورة النساء وقال تعالى ﴿ قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ سورة آل عمران وقال تعالى ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۖ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا ﴿٢٢﴾ ﴾ سورة الأحزاب ولذلك كانت كتبه جل وعلا كتب صدقٍ ورسله رسل

صدقٍ وأتباعهم هم الصادقين كما قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ سورة الزمر وقال تعالى في وصف أنبيائه ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ ﴾ سورة مريم وقال تعالى ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ ﴾ سورة مريم وفي قصة يوسف عليه السلام قال خادم الملك ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ فوصفه بأنه صدِّيق لما خبر من صدقه وأمانته . وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة يسمى الصادق الأمين ، وعن ابن عباس قال لما نزلت ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ سورة الشعراء خرج النبي صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدي لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش فقال (أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل) وفي رواية (أن خيلا تخرج بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ؟ قالوا : نعم ما جربنا عليك إلا صدقاً . قال (فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد) قال أبو لهب : تباً لك ألهذا جمعتنا ؟ فنزلت ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ ﴾ سورة المسد متفق عليه

غيرة الأنبياء

الغيرة هي كراهة الشيء اشتراك الغير معه فيما هو من خصائصه .

قال النبي صلى الله عليه وسلم (لا شيء أغير من الله تعالى) وقال (إن الله عز وجل يغار وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله عليه) متفق عليهما وعن المغيرة رضي الله عنه قال : قال سعد بن عبادة رضي الله عنه لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (أتعجبون من غيرة سعد ؟ والله لأنا أغير منه والله أغير مني ومن أجل غيرة الله حرم الله الفواحش ما ظهر منها وما بطن) متفق عليه وعن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (يا أمة محمد والله ما من أحدٍ أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته) متفق عليه وقال صلى الله عليه وسلم (المؤمن يغار والله أشد غيرا) رواه مسلم

والأنبياء عليهم الصلاة والسلام من أشد الناس غيرة فعن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عندها وفي البيت مخنث (يعني خنثى) فقال (أي الخنثى) لعبد الله بن أبي أمية أخي أم سلمة يا عبد الله إن فتح الله لكم غدا الطائف فإني أدلك على ابنة غيلان فإنها تقبل بأربعٍ وتدبر بثمان فقال النبي صلى الله عليه وسلم (لا يدخلن هؤلاء عليكم) وفي رواية (ألا أرى هذا يعرف ما هنا لا يدخلن عليكم) متفق عليه

والغيرة بين الناس محبوبة إذا كانت بسبب منكرٍ يظهر أو يشك فيه وخاصةً بين الزوجين أو بين الرجل ومحارمه وأما التي تكون غير ظاهرةٍ أو بشكوكٍ لا سبب لها فهي مذمومة فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من الغيرة ما يحب الله ، ومنها ما يكره الله ، فأما ما يحب فالغيرة في الريبة ، وأما ما يكره فالغيرة في غير ريبة) (١)

وضد الغيرة الديوثة وهي عدم الغيرة على الأهل والمحارم وهو خلقٌ ذميم يدل على فسادٍ في العقل والخلق وقلة الإيمان إن لم يكن انعدامه فالزنا جريمةٌ منكرةٌ يحرم الرضا بها مع الأجانب فكيف بالمحارم لا شك أن من يفعل ذلك لا دين عنده ولا رجولة وأنه أشبه بالبهيمة وقد ورد عن بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (ثلاثة لا يدخلون الجنة العاق والديه والديوث ورجلة النساء) وفي رواية (ثلاثة لا ينظر الله عز وجل إليهم يوم القيامة) وفي رواية (ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة مدمن الخمر والعاق والديوث الذي يقر في أهله الخبث) (٢)

١- رواه بن ماجه وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٥٩٠٥)

٢- رواه النسائي وأحمد والحاكم وغيرهم وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٣٠٥٢)

قال تعالى في بيان شجاعة خليله إبراهيم عليه السلام أنه قال لقومه ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ سورة الأنبياء فنفذ وعيده و لم ترهبه جموع الكفرة ولا ما سيرصدونه له من التعذيب والقتل وقال تعالى عن نبيه داود عليه السلام ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ ﴾ من (٢٥١) سورة البقرة وجالوت ملك الكفرة ولا يجرؤ على قتل الملوك إلا الأبطال الذين لا يهابون الموت إذ يعلمون أن أسلحة الحراس لهم بالمرصاد وقال تعالى عن نبيه موسى عليه السلام أنه قال لفرعون﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ سورة الإسراء فهل يجرؤ أحدٌ منكم على أن يقول مثل هذا لملكٍ مسلم فضلاً عن مجرمٍ طاغيةٍ كافرٍ ظالم كفرعون ، وقال تعالى في قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ وجنودها ﴿ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ سورة النمل وهكذا الشجعان لا يترددون في قتال الأعداء .

وأما سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فهي ممتلئة بمثل هذه المواقف وبما هو أعظم منها قال أنس بن مالك رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وكان أجود الناس وكان أشجع الناس ولقد فزع أهل المدينة ليلةً فانطلقوا قِبَلَ الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبقهم إلى الصوت وهو على فرسٍ لأبي طلحة عريٍ ما عليه سرج في عنقه السيف وهو يقول (يا أيها الناس لن تراعوا) يردهم . متفق عليه

وعن جابر رضي الله عنه أنه غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم قِبَلَ نجدٍ فلما قفل معه أدركتهم القائلة في وادٍ كثير العضاة فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق الناس يستظلون بالشجر فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت سمرةٍ فعلق بها سيفه ونمنا نومةً فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا وإذا عنده أعرابيٌ فقال إن هذا اخترط عليَّ سيفي وأنا نائمٌ فاستيقظت وهو في يده صلتاً . قال ما يمنعك مني ؟ فقلت الله ثلاثاً و لم يعاقبه وجلس . وفي رواية : فقال الأعرابي من يمنعك مني ؟ قال الله . فسقط السيف من يده فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف فقال من يمنعك مني ؟ فقال كن خير آخذٍ . فقال تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله . قال : لا ، ولكني أعاهدك على أن لا أقاتلك ولا أكون مع قومٍ يقاتلونك فخلى سبيله فأتى أصحابه فقال جئتكم من عند خير الناس . متفق عليه

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين . فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نفارقه ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلةٍ له بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي فلما التقى المسلمون والكفار ، ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض على بغلته قِبَلَ الكفار . قال العباس : وأنا آخذٌ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكفها إرادة أن لا تسرع وأبو سفيان آخذٌ بركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أي عباس! ناد أصحاب السمرة) فقال العباس (وكان رجلاً صيتاً) فقلت بأعلى صوتي : أين أصحاب السمرة ؟ قال : فو الله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها فقالوا: يا لبيك يا لبيك . قال : فاقتتلوا والكفار فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (هذا حين حمي الوطيس) قال : ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حصياتٍ فرمى بهن وجوه الكفار . ثم قال (انهزموا ورب محمد) وفي رواية (انهزموا ورب الكعبة ، انهزموا ورب الكعبة) قال: فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى . قال : فو الله ما هو إلا أن رماهم بحصياته فما زلت أرى حدَّهم كليلاً وأمرهم مدبراً حتى هزمهم الله . قال : وكأني أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم يركض خلفهم على بغلته . رواه مسلم

وعن أبي إسحاق قال : قال رجل للبراء رضي الله عنه : يا أبا عمارة أفررتم يوم حنين ؟ قال: لا والله ما ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه خرج شبان أصحابه وأخفاؤهم حسراً ليس عليهم سلاح أو كثير سلاح فلقوا قوماً رماةً لا يكاد يسقط لهم سهم جمع هوازن وبني نصر فرشقوهم رشقاً ما يكادون يخطئون . فأقبلوا هناك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يقود به فنزل فاستنصر وقال (أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب) ثم صفهم وفي رواية فقال البراء : ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر . وكانت هوازن يومئذٍ رماة وإنا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكببنا على الغنائم فاستقبلونا بالسهام ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وإن أبا سفيان ابن الحارث آخذٌ بلجامها ، وهو يقول (أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب) قال البراء : كنا والله إذا احمر البأس نتقي به وإن الشجاع منا للذي يحاذى به . يعني النبي صلى الله عليه وسلم . رواه مسلم

وقال سلمة رضي الله عنه : مررت منهزماً على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلتـــه الشهباء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لقد رأى ابن الأكوع فزعاً) فلما غشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عن البغلة ثم قبض قبضةً من تراب من الأرض ثم استقبل به وجوههم فقال (شاهت الوجوه) فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه تراباً بتلك القبضة ، فولوا مدبرين ، فهزمهم الله عز وجل وقسَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم غنائمهم بين المسلمين . رواه مسلم

وعن علي رضي الله عنه قال : لقد رأيتنا يوم بدرٍ ، ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس يومئذٍ بأساً . (١)

١-رواه أحمد في مسند على ورواه بن أبي شيبة في مصنفه وصحح إسناد أحمد شعيب الأرنؤوط .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن رجلاً استحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (إني حاملك على ولد ناقة) فقال : يا رسول الله ما أصنع بولد الناقة ؟ فقال صلى الله عليه وسلم (وهل تلد الإبل إلا النوق ؟) (١) وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قالوا : يا رسول الله إنك تداعبنا قال (نعم غير أني لا أقول إلا حقا) (٢)

وعن أنس رضي الله عنه أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهراً وكان يهدي إلى النبي صلى الله عليه وسلم هديةً من البادية فيجهزه النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج فقال النبي صلى الله عليه وسلم (إن زاهراً باديتنا ونحن حاضروه) وكان صلى الله عليه وسلم يحبه وكان رجلاً دميماً فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يوماً وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصره فقال : من هذا ؟ أرسلني . فالتفت فعرف النبي صلى الله عليه وسلم فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر النبي صلى الله عليه وسلم حين عرفه فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول (من يشتري هذا العبد ؟) فقال : يا رسول الله إذاً والله تجدني كاسداً . فقال النبي صلى الله عليه وسلم (لكن عند الله لست بكاسد) أو قال (أنت عند الله غال) (٣)

وعن الحسن رضي الله عنه قال: أتت عجوزٌ إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة . فقال (يا أم فلان إن الجنة لا تدخلها عجوز) قال : فولت تبكـــي . فقال (أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز إن الله تعالى يقول ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾ (٤)

١- رواه أحمد وأبو داود والترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٧١٢٨)

٢- رواه الترمذي والبخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني

٣-رواه في شرح السنة وصححه الألباني

٤-حسنه الألباني في مختصر الشمائل

قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ ﴾ سورة هود وقال في آية أخرى ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ سورة الذاريات إكرامٌ وتلطفٌ في الكلام وهذا قبل أن يعرفهم و لم يسألهم هل أنتم كفارٌ أم مسلمون فدلَّ على أن حسن الاستقبال عامٌ لجميع الناس .

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل بوجهه وحديثه عليَّ حتى ظننت أني خير القوم ، فقلت يا رسول الله أنا خير أو أبو بكر ؟ قال (أبو بكر) فقلت : يا رسول الله أنا خير أو عمر ؟ قال (عمر) فقلت : يا رسول الله أنا خير أو عثمان ؟ قال (عثمان) فلما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فصدقني فلوددت أني لم أكن سألت (١) وقال جرير البجلي رضي الله عنه : ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت ولا رآني إلا تبسم في وجهي . متفق عليه وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (تبسمك في وجه أخيك صدقة ، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة ، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة ، وإماطتك الأذى والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة ، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة ، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة) (٢) وعن أنسٍ رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا لقيه أحدٌ من أصحابه فقام معه قام معه فلم ينصرف حتى يكون الرجل هو الذي ينصرف عنه ، وإذا لقيه أحدٌ من أصحابه فتناول يده ناوله إياها فلم يترع يده منه حتى يكون الرجل هو الذي يترع يده منه ، وإذا لقي أحداً من أصحابه فتناول أذنه ناوله إياها ثم لم يترعها حتى يكون الرجل هو الذي يترعها عنه . (٣) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إن وفد عبد القيس لما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من القوم ؟ أو من الوفد ؟) قالوا ربيعة . قال (مرحباً بالقوم أو بالوفد غير خزايا ولا ندامى) متفق عليه

١- حسنه الألباني في مختصر الشمائل

٢- رواه الترمذي وابن حبان وصححه الألباني .

٣-أخرجه ابن سعد وحسنه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٤٧٨٠)

قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ سورة الحجرات

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفحشاً وكان يقول (إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً) متفق عليه

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفحشاً ولا صخاباً في الأسواق ، ولا يجزئ بالسيئة ولكن يعفو ويصفح) (١)

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إن اللعانين لا يكونون شهداء ولا شفعاء يوم القيامة) رواه مسلم

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) متفق عليه

وقال صلى الله عليه وسلم (ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء) (٢)

١- رواه الترمذي وصححه الألباني في مشكاة المصابيح حديث رقم (٥٨٢٠)

٢- رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد والترمذي وغيرهم وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٥٣٨١)

قال تعالى ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ سورة النساء وعن عائشة وابن عمر رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه) متفق عليه وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت) متفق عليه وعنه قال : جاء رجلٌ إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو جاره فقال اذهب فاصبر فأتاه مرتين أو ثلاثاً فقال اذهب فاطرح متاعك في الطريق فطرح متاعه في الطريق فجعل الناس يسألونه فيخبرهم خبره فجعل الناس يلعنونه فعل الله به وفعل وفعل فجاء إليه جاره فقال له ارجع لا ترى مني شيئاً تكرهه . (١) وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن . قيل من يا رسول الله ؟ قال الذي لا يأمن جاره بوائقه) متفق عليه وعند مسلم (لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه) وعن أبي ذرٍ رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثلاثة يحبهم الله وثلاثة يشنؤهم الله : الرجل يلقى العدو في فئةٍ فينصب لهم نحره حتى يقتل أو يفتح لأصحابه ، والقوم يسافرون فيطول سراهم حتى يحبوا أن يمسوا الأرض فيتزلون فيتنحى أحدهم فيصلي حتى يوقظهم لرحيلهم ، والرجل يكون له الجار يؤذيه جاره فيصبر على أذاه حتى يفرق بينهما موت أو ظعن ، والذين يشنؤهم الله التاجر الحلاف والفقير المختال والبخيل المنان) (٢) وعن المقداد بن الأسود رضي الله عنه مرفوعاً (لأن يزني الرجل بعشر نسوةٍ خير له من أن يزني بامرأة جاره ، ولأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر له من أن يسرق من بيت جاره) (٣) وعن جابر رضي الله عنه مرفوعاً (إذا طبخ أحدكم قدراً فليكثر مرقها ثم ليناول جاره منها) (٤) والأولى بالإحسان الأقرب فعن عائشة قالت قلت : يا رسول الله إن لي جارين فإلى أيهما أهدي ؟ قال (إلى أقربهما منك باباً) . رواه البخاري

١- رواه أبو داود وصححه الألباني

٢- رواه أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٣٠٧٤)

٣-رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد والطبراني وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٥٠٤٣)

٤-رواه الطبراني في الصغير وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٦٧٦)

البر بالوالدين مطلبٌ شرعي قال تعالى ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ سورة الأحقاف وقال تعالى ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ سورة العنكبوت وقال تعالى ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ سورة لقمان

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أحب إلى الله ؟ قال (الصلاة لوقتها) قلت : ثم أي ؟ قال (بر الوالدين) قلت : ثم أي ؟ قال (الجهاد في سبيل الله) متفق عليه وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (الكبائر : الإشراك بالله وعقوق الوالدين واليمين الغموس) رواه البخاري وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً الإشراك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور ألا وشهادة الزور وقول الزور وكان متكئاً فجلس فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت) متفق عليه وقال صلى الله عليه وسلم (رضا الرب تبارك وتعالى في رضا الوالدين وسخط الله تبارك وتعالى في سخط الوالدين) (١) وعن طيسلة بن مياس قال : قال لي بن عمر أتفرق من النار وتحب أن تدخل الجنة قلت إي والله قال أحي والداك قلت عندي أمي قال فو الله لو ألنت لها الكلام وأطعمتها الطعام لتدخلن الجنة ما اجتنبت الكبائر . (٢) وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذنه في الجهاد فقال أحي والدك ؟ قال نعم قال (ففيهما فجاهد) متفق عليه وفي رواية (فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما) وروي عن طلحة بن معاوية السلمي رضي الله عنه قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله إني أريد الجهاد في سبيل الله . قال (أمك حية ؟) قلت نعم . قال (ألزم رجلها فثم الجنة) (٣)

١- رواه البزار وحسنه الألباني لغيره .

٢- رواه البخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني

٣- رواه الطبراني وروى بن ماجة مثله عن معاوية بن جاهمة وحسنه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (١٢٤٨)

وقد كان للأنبياء عليهم الصلاة والسلام قصب السبق في بر والديهم فقال تعالى عن يحي عليه السلام ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ ﴾ سورة مريم وذكر تعالى عن عيسى عليه السلام قوله ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ ﴾ سورة مريم وفي قصة إسماعيل عليه السلام ظهور كمال البر بالتضحية بالنفس قال تعالى ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ سورة الصافات وقد كان الخليل قبله يسعى جاهداً في نجاة أبيه ويتودد إليه بأحلى العبارات وأرق الألفاظ لعله يسلم قال تعالى ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ ﴾ سورة مريم بل كانوا يبرونهم بعد موتهم قال نوحٌ عليه السلام ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾ ﴾ سورة نوح وقال إبراهيم عليه السلام ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾ سورة إبراهيم رغم أن أباه كان مشركاً فَنُهِيَ عن الاستغفار له بعد ذلك كما قال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ سورة التوبة و لم يرد النهي عن الاستغفار لأمه فدَّل على أنها كانت قد آمنت وقيل إن المراد بوالديه هنا آدم وحواء وقرأ إبراهيم النخعي (ولولدي) يقول أراد أبنيه إسماعيل وإسحاق ذكر ذلك القرطبي عند تفسيره لهذه الآية ، ولكن لا شك أن إبراهيم كان يستغفر لأبيه حتى نُهِيَ عن ذلك وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم أراد أن يستغفر لأمه ولعمه أبو طالب فَنُهِيَ عن ذلك في قوله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال (استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي ، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي ، فزوروا القبور فإنها تذكر الموت) رواه مسلم

أخبر تعالى عن تبشير عيسى عليه السلام قومه بنبيٍ يأتي من بعده كما قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ سورة الصف وهكذا اتباع الأنبياء يحبون الخير للناس كما في قصة صاحب ياسين قال تعالى ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّيٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ سورة يس فأحب لهم الخير وهو حي ، وأحب لهم الخير بعد موته مع أنهم هم الذين قتلوه .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب تبشير الناس بما يفرحهم فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب فرجع من رجع وعقب من عقب فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم مسرعاً قد حفزه النفس وقد حسر عن ركبتيه فقال (أبشروا هذا ربكم قد فتح باباً من أبواب السماء يباهي بكم الملائكة يقول انظروا إلى عبادي قد قضوا فريضةً وهم ينتظرون أخرى) (١) وعن ابن أبي بردة قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم جده أبا موسى ومعاذاً إلى اليمن فقال (يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا) متفق عليه وعن عمرو بن عوف الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه إلى البحرين يأتي بجزيتها فقدم بمالٍ من البحرين فسمعت الأنصار بقدوم أبا عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى رسول الله انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم ثم قال (أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيءٍ من البحرين) قالوا أجل يا رسول الله . قال (أبشروا وأملوا ما يسركم فو الله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم) متفق عليه وينبغي لمن بُشِّرَ بخيرٍ أن يخرَّ ساجداً لله فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم (إذا جاءه أمر سرور أو بُشِرَ به خرَّ ساجداً شاكراً لله) (٢)

١- رواه بن ماجة وصححه الألباني

٢- رواه أبو داود وصححه الألباني .

قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾ سورة العنكبوت وقد هاجر الأنبياء لما علموا بوقوع عذاب الله على أقوامهم وهاجر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وهاجر أصحابه معه وقال صلى الله عليه وسلم (اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم) (١) وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (ستكون هجرة بعد هجرة فخيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم ويبقى في الأرض شرار أهلها تلفظهم أرضوهم وتقذرهم نفس الله وتحشرهم النار مع القردة والخنازير) (٢) .

وأما جهادهم فقد قال تعالى ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٖ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ سورة آل عمران وقال تعالى ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ ﴾ من (٢٥١) سورة البقرة غير أنا لا نجزم أن كلهم جاهد بالسيف فمنهم من جاهد بالعلم والدعوة كما قال تعالى ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَـٰفِرِينَ وَجَـٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ﴿٥٢﴾ ﴾ سورة الفرقان أي بالقران ، وخاصةً من كان أتباعهم قلة وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (عرضت علي الأمم فجعل يمر النبي ومعه الرجل والنبي ومعه الرجلان والنبي ومعه الرهط والنبي وليس معه أحد ...) متفق عليه فلا شك أن الذي معه الرجل والرجلان والذي ليس معه أحد لا يستطيع الجهاد بالسيف والله تعالى أعلم . لكن من كان عنده مقدرةً على القتال فقد قاتل وأعظمهم جهاداً نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقد قاد معارك عظام ضد صناديد الكفر ولقي منهم ما لقي من أذى في تلك المعارك فلم تمنعه من مواصلة الجهاد بل استمر عليه حتى الممات وأوصى أمته بعدم تركه قال صلى الله عليه وسلم (إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم) (٣)

١- رواه الترمذي وصححه الألباني

٢- رواه أبو داود والحاكم وصححه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب

٣- رواه أبو داود وصححه الألباني

قال تعالى﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ من (٥٨) سورة النساء وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا اؤتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر) متفق عليه وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان) متفق عليه وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال : القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها إلا الأمانة . قال : يؤتى العبد يوم القيامة وإن قتل في سبيل الله فيقال أد أمانتك فيقول أي رب كيف وقد ذهبت الدنيا فيقال انطلقوا به إلى الهاوية فينطلق به إلى الهاوية وتمثل له أمانته كهيئتها يوم دفعت إليه فيراها فيعرفها فيهوي في أثرها حتى يدركها فيحملها على منكبيه حتى إذا ظن أنه خارج قلت عن منكبيه فهو يهوي في أثرها أبد الآبدين ثم قال الصلاة أمانة والوضوء أمانة والوزن أمانة والكيل أمانة وأشياء عددها وأشد ذلك الودائع . (١) ولا شك أن الأنبياء أول من يمتثل الأمر ، وأعظم أمانةٍ أمانة الرسالة والنبوة وتبليغ الناس دين الله وقد قاموا بذلك حق القيام وأدوا الأمانة على وجهها فجزاهم الله خير الجزاء ، ولقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم يلقب قبل بعثته بالصادق الأمين لصدقه وأمانته وكان أهل مكة وكفار قريش يأتمنونه حتى بعد البعثة فلمَّا عزم على الهجرة أمر علياً رضي الله عنه أن يرد الأمانات إلى أهلها . وقال جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه لملك الحبشة : أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقة وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله عز وجل لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دون الله من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار الخ الحديث فذكر الأمانة صفةً في النبي صلى الله عليه وسلم وأنه أمر بها . (٢) والأمانة تكون في كل شيء وأهمها تبليغ الدين ونشره وعدم كتمانه أو عمل ما يباعد الناس عنه كما قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ سورة الأنفال

١-رواه أحمد والبيهقي موقوفاً وذكر عبد الله ابن الإمام أحمد في كتاب الزهد أنه سأل أباه عنه فقال إسناده جيد وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب .

٢- رواه ابن خزيمة وصححه الألباني

قال تعالى عن يعقوب عليه السلام أنه قال لابنه يوسف عليه السلام ﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥ ﴾ سورة يوسف فكتمها الأب وكتمها الابن وكلاهما نبي وذلك خشية الحسد . فما كان من السر في كتمه مصلحة فينبغي كتمانه . قال صلى الله عليه وسلم (استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمةٍ محسود) (١) وقد كان حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما هو صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ حدثه بأحاديث في الفتن والمنافقين كتمها عن غيره للمصلحة ولا تعلق لها بالدين كأسماء المنافقين وبعض الفتن التي ستحدث ولا مصلحة دينية في ذكرها كقتل عمر وأنه انفتاح باب الفتن فإذا وقع ما كان سراً وصار علناً جاز التحدث به كفعل حذيفة فإنه أخبر التابعين بعد مقتل عمر بأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بأن مقتل عمر انفتاح باب الفتن وكقوله تعالى في خبر يوسف عليه السلام ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَايَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗا ﴾ من (١٠٠) سورة يوسف

١- رواه الطبراني وغيره وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٩٤٣)

الشورى هي طلب المشورة بأخذ الرأي من الغير . وهي مطلبٌ شرعي وفي القران سورة تسمى سورة الشورى وقال تعالى آمراً نبيه بها ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ من (١٥٩) سورة آل عمران وقال تعالى مرغباً فيها ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ سورة الشورى وسواء كانت الشورى لأمور العامة أو لخاصة نفسه فيستشير من يثق به ويصلح أن يستشار في مثل هذا الأمر فلا يصلح أن يستشير مثلاً قادة جيشه مثلاً في أمرٍ خاص وإنما يستشير خواصه ، فلم يستشر النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر وعثمان في حادثة الإفك وإنما استشار علياً لأنه من أهل بيته بينما يستشير في المعارك أمراء القبائل ونحوهم .

وفي الشورى من الفوائد الشيء الكثير ومنها :

اجتماع العقول في إصدار القرار فهو أفضل من أن يُبْنَى القرار على عقلٍ واحد قد يعتريه النسيان والذهول والخطأ عن أفضل القرارات .

وفيها اجتماع الكلمة وعدم ازدراء الآخرين .

وفيها كثرة الحاصلين على الأجر في نصرة الدين . وغير ذلك من الفوائد .

وقد كان الصالحون المتقدمون يستشيرون بعضهم قال تعالى﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾ سورة البقرة ومع مشاورة الصالحين الذين يظنون أنهم ملاقوا الله أي يتيقنون بذلك حتى غلب على آرائهم حصل النصر فقال تعالى ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ ﴾ من (٢٥١) سورة البقرة فكان داود عليه السلام مع أولئك الذين يظنون أنهم ملاقوا الله وحصل باستشارتهم النصر بإذن الله والهزيمة للكافرين ، ومن تتبع حياة النبي صلى الله عليه وسلم وجده مكثراً من مشاورة أصحابه وهو المؤيد بالوحي ، فلا شك أن الشورى أمرها عظيم ، وخطر تركها فادح ، ولا يتركها إلا مغرورٌ ناقص العقل والدين ، والله تعالى أعلم .

وينبغي أن يشاور أهل العقول السليمة الحريصين على نصرة الدين ثم يتفقون على رأيٍ واحد ولو لم يعجب البعض ولا يترددون في الأخذ به أو عدمه لقوله تعالى﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ من (١٥٩) سورة آل عمران ولأن التردد يفضي إلى ما لا تحمد عقباه ولقد تنازل النبي صلى الله عليه وسلم عن رأيه لرأي أصحابه يوم أحد حين أشار عليهم بالقتال داخل المدينة إذ قال (رأيت كأني في درعٍ حصينة ورأيت بقراً منحرةً فأولت أن الدرع الحصينة المدينة وأن البقر هو والله خير)(يعني استشهاد أصحابه) ثم قال لأصحابه (لو أنا أقمنا بالمدينة فإن دخلوا علينا فيها قاتلناهم) فقالوا : يا رسول الله والله ما دُخِلَ علينا فيها في الجاهلية فكيف يدخل علينا فيها في الإسلام . قال (شأنكم إذاً) فلبس لامته فقال الأنصار رددنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيه فجاءوا فقالوا يا نبي الله شأنك إذاً فقال (إنه ليس لنبيٍ إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل) (١) وهكذا في عدة مواطن تنازل عن رأيه لرأي أصحابه بعد مشاورتهم تطييباً لخواطرهم وإعلاماً لهم بأهمية الشورى والعمل بما يشيره الفضلاء من الأصحاب والله تعالى أعلم .

وقد اشترط بعض العلماء للمستشار شروطاً (٢) منها :

أولاً / أن يكون ذا دينٍ وتقى فقد قال بن عباس : من أراد أمراً فشاور فيه امرءاً مسلماً وفقه الله لأرشد أموره . لأن الدين والتقى تجعله ينصح لمن يستشيره ويخاف الله فلا يخونه .

ثانياً / أن يكون ذا عقلٍ رشيد وتجربة سابقة في المجال الذي يستشار فيه .

ثالثاً / أن لا يكون ذا غرضٍ يتابعه ، ولا هوى يطلبه ، فإن الرأي إذا عارضته الأهواء ، وتجاذبته الأغراض فسد .

١- أخرجه أحمد وحسنه الألباني

٢-(انظر موسوعة نضرة النعيم ص٢٤٢٦)

حسن تعاملهم مع أزواجهم

كان للأنبياء عليهم الصلاة والسلام القدوة المثلى في حسن تعاملهم مع أزواجهم في كل الجوانب ونذكر منها :

أولاً / مسامرتهن وإيناسهن والحديث معهن ، فقد سمع النبي صلى الله عليه وسلم من زوجته عائشة رضي الله عنها حديث أم زرعة الطويل وفيه قصة إحدى عشر امرأة مع أزواجهن وما جرى لكل واحدةٍ منهن فلم تمنعه عليه الصلاة والسلام كثرة مشاغله من الاستماع لهذه القصص ومن ثم التعقيب عليها والرد وكل ذلك ليباسط زوجته ويؤانسها . (١)

ثانياً / اللعب معهن فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يسابق عائشة فعن عائشة رضي الله عنها أنها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفرٍ قالت فسابقته فسبقته على رجلي فلما حملت اللحم سابقته فسبقني قال هذه بتلك السبقة . (٢)

١- حديث أم زرع رواه مسلم عن عروة عن عائشة أنها قالت (جلس إحدى عشرة امرأة فتعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً قالت الأولى زوجي لحم جملٍ غث على رأس جبل وعر لا سهل فيرتقى ولا سمين فينتقل . قالت الثانية : زوجي لا أبث خبره إني أخاف أن لا أذره إن أذكره أذكر عجره وبجره . قالت الثالثة : زوجي العشنق إن أنطق أطلق وإن أسكت أعلق . قالت الرابعة : زوجي كليل تهامة لا حر ولا قر ولا مخافة ولا سآمة . قالت الخامسة : زوجي إن دخل فهد وإن خرج أسد ولا يسأل عما عهد . قالت السادسة : زوجي إن أكل لف وإن شرب اشتف وإن اضطجع التف ولا يولج الكف ليعلم البث . قالت السابعة : زوجي غياياء أو عياياء طباقاء كل داء له داء شجك أو فلك أو جمع كلا لك . قالت الثامنة : زوجي الريح ريح زرنب والمس مس أرنب . قالت التاسعة : زوجي رفيع العماد طويل النجاد عظيم الرماد قريب البيت من النادي . قالت العاشرة : زوجي مالك وما مالك مالك خير من ذلك له إبل كثيرات المبارك قليلات المسارح إذا سمعن صوت المزهر أيقن أنهن هوالك . قالت الحادية عشرة : زوجي أبو زرع فما أبو زرع أناس من حلى أذني وملأ من شحم عضدي وبجحني فبجحت إلى نفسي وجدني في أهل غنيمة بشق فجعلني في أهل صهيل وأطيط ودائس ومنق فعنده أقول فلا أقبح وأرقد فأتصبح وأشرب فأتقنح أم أبي زرع فما أم أبي زرع عكومها رداح وبيتها فساح بن أبي زرع فما بن أبي زرع مضجعه كمسل شطبة ويشبعه ذراع الجفرة بنت أبي زرع فما بنت أبي زرع طوع أبيها وطوع أمها وملء كسائها وغيظ جارتها جارية أبي زرع فما جارية أبي زرع لا تبث حديثنا تبثيثاً ولا تنفث ميرتنا تنقيثاً ولا تملأ بيتنا تعشيشاً قالت خرج أبو زرعة والأوطاب تمخض فلقي امرأةً معها ولدان لها كالفهدين يلعبان من تحت خصرها برمانتين فطلقني ونكحها فنكحت بعده رجلاً سرياً ركب شرياً وأخذ خطياً وأراح علي نعماً ثرياً وأعطاني من كل رائحةٍ زوجاً قال كلي أم زرع وميري أهلك فلو جمعت كل شيء أعطاني ما بلغ أصغر آنية أبي زرع . قالت عائشة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم (كنت لك كأبي زرع لأم زرع غير أني لا أطلق) .

٢- رواه أبو داود وصححه الألباني .

ثالثاً / الترفيه المباح لهن فعن عائشة رضي الله عنها قالت : والله لقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بالحراب في المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسترني بردائه لأنظر إلى لعبهم بين أذنه وعاتقه ثم يقوم من أجلي حتى أكون أنا التي أنصرف ، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو ، وفي رواية : دعاني صلى الله عليه وسلم والحبشة يلعبون بحرابهم في المسجد في يوم عيدٍ فقال لي : يا حميراء أتحبين أن تنظري إليهم ؟ فقلت : نعم . فأقامني وراءه فطأطأ لي منكبيه لأنظر إليهم فوضعت ذقني على عاتقه وأسندت وجهي إلى خده فنظرت من فوق منكبيه وهو يقول : دونكم يا بني أرفدة حتى شبعت) وفي رواية : قال : حسبك . قلت : لا تعجل . فقام لي ثم قال : حسبك . قلت : لا تعجل . قالت : وما بي حب النظر إليهم ولكن أحببت أن يبلغ النساء مقامه لي ومكاني منه) متفق عليه

رابعاً / الاهتمام بوجهة نظر الزوجة واستشارتها في بعض الأموركما في قصة الحديبية حين استشار النبي صلى الله عليه وسلم أم سلمة وهو في البخاري وفيه (فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : قوموا فانحروا ثم احلقوا ، فو الله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات ، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة ، فذكر لها ما لقى من الناس ، قالت أم سلمة : يا نبي الله أتحب ذلك ؟ أخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمةً حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك ، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك ، نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه ، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً)

خامساً / مراعاة ضعفهن وغلبة العاطفة عندهن فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (استوصوا بالنساء خيراً فإنهن خلقن من ضلع وإن أعوج شيءٍ في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيرا) متفق عليه وقال صلى الله عليه وسلم (استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عوانٍ عندكم) (أي مثل الأسيرات) إلى أن قال (ألا إن لكم على نسائكم حقاً ولنسائكم عليكم حقاً فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذنَّ في بيوتكم لمن تكرهون ، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن) (١)

١- رواه الترمذي وبن ماجه وحسنه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٧٨٨٠)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يفرك مؤمنٌ مؤمنةً إن كره منها خلقاً رضي منها آخر) رواه مسلم وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي) (١) وقال صلى الله عليه وسلم (اتقوا الله في النساء فإنهن عوان عندكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف) رواه مسلم ولذلك أجيز لمن كان زوجها بخيلاً أن تأخذ من ماله ما يكفيها وولدها عرفاً فعن عائشة رضي الله عنها قالت إن هنداً بنت عتبة قالت : يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم فقال (خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف) متفق عليه وعن أنسٍ رضي الله عنه قال :كان للنبي حادٍ يقال له أنجشة وكان حسن الصوت . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم رويدك يا أنجشة لا تكسر القوارير . قال قتادة يعني ضعفة النساء . متفق عليه لأن الإبل تسرع في المشي إذا سمعت الحداء .

سادساً / مراعاة الغيرة عندهن فعن أنس رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم عند إحدى أمهات المؤمنين فأرسلت أخرى بقصعةٍ فيها طعام فضربت يد الرسول فسقطت القصعة فانكسرت فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم الكسرتين فضم إحداهما إلى الأخرى فجعل يجمع فيها الطعام ويقول غارت أمكم كلوا فأكلوا فأمسك حتى جاءت بقصعتها التي في بيتها فدفع القصعة الصحيحة إلى الرسول وترك المكسورة في بيت التي كسرتها . (٢) وفي رواية (أن المرسلة أم سلمة والتي كسرت الصحفة عائشة رضي الله عنهن) فانظروا هل تستطيعون أن تفعلوا مثل فعل النبي صلى الله عليه وسلم وتتمالكون أنفسكم في مثل هذه المواقف التي يتبين فيها كريم الأخلاق حقاً من المتصنع .

سابعاً / عدم إزدرائهن والتنقص لهن فعن عائشة رضي الله عنها قالت (كنتُ أشرب وأنا حائض ثم أناوله النبي صلى الله عليه وسلم فيضع فاه على موضع فيَّ فيشرب واتعرق العَرْقَ وأنا حائض ثم أناوله النبي صلى الله عليه وسلم فيضع فاه على موضع فِيَّ) رواه مسلم وفي رواية (كنت أتعرق

١- رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٣٣١٤)

٢- رواه البخاري وأبو داود وبن ماجة والنسائي واللفظ له .

العَرْق وأنا حائض فأعطيه رسول الله فيضع فمه في الموضع الذي وضعت فمي فيه ، وكنت أشرب من القدح فأناوله إياه فيضع فمه في الموضع الذي كنت أشرب) وعنها أيضاً رضي الله عنها قالت : قال لي رسول الله (إني لأعلم إذا كنتِ عنِّي راضية ، وإذا كنت علي غضبى) قالت : فقلت : من أين تعرف ذلك ؟ فقال (أما إذا كنتِ عنِّي راضية فإنك تقولين : لا ، ورب محمد ، وإذا كنت غضبى قلت : لا ، ورب إبراهيم) قالت : قلتُ أجل والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك) رواه البخاري

ثامناً / العدل بين الزوجات قالت عائشة رضي الله عنها :كان رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يفضِّل بعضنا على بعض في القسم من مكثه عندنا ، وكان قلَّ يوم يأتي إلا وهو يطوف علينا جميعًا فيدنو من كل امرأةٍ من غير مسيس حتى يبلغ إلى التي هو يومُها فيبيت عندها) (١) ولها أيضاً (كان رسول الله إذا أراد سفرًا أقرع بين نسائه فأيَّتهُن خرج سهمُها خرج بها معه) متفق عليه وعنها أيضاً (لَّما ثقُل النبي واشتد به وجعه استأذن أزواجه في أن يمرَّض في بيتي فأذنَّ له) وعنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول (اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك) (٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إذا كانت عند الرجل امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط) وفي رواية (مائل) (٣)

تاسعاً / تفعيل القوامة عليهن فالنساء بما فطرن عليه من الاعوجاج وحدة العاطفة يحتجن حتماً إلى تقويمٍ وتربيةٍ وتأديب ، ولأجل هذا خوَّل الله تعالى الرجال هذه المسئولية حيث قال تعالى﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤﴾ سورة النساء والنبي صلى الله عليه وسلم في عشرته مع أهله لم يستغن عن اتخاذ هذا الأسلوب ليكون أسوة لأمته

١- رواه أبوداود وصححه الألباني

٢- رواه الترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه والدارمي وصحح إسناده الألباني في الإرواء والمشكاة وضعفه في باقي كتبه غير أنه قال في ضعيف بن ماجه والنسائي الطرف الأول منه حسن (انظركتاب تراجع الألباني ١٩٤/٢)

٣- رواه الترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه والدارمي وصححه الألباني انظر صحيح الجامع حديث رقم (٦٥١٥)

في التربية والتأديب فإنه لما سأله نساؤه النفقة الزائدة عن قدرته وأردن التوسع في الدنيا ولذّاتها هجرهُنَّ وآلى من الدخول عليهن شهراً ، حتى أنزل الله تعالى عليه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٢٩﴾ ﴾ سورة الأحزاب فخيَّرهن النبي صلى الله عليه وسلم في البقاء معه على الكفاف ، أو المفارقة فاخترن الله ورسوله ، فإذا كان هذا حال نساء الأنبياء وقد اصطفاهن الله زوجاتٍ لأنبيائه فكيف بمن دونهن لا شك أنهن يحتجن إلى التأديب والتقويم أحياناً لكن بالأسلوب المناسب الذي لا يعرض لكسرهن كالسب لهن ولأهلهن أو نحو هذه من الأمور التي يفعلها الأزواج وليست من أخلاق الأنبياء ولقد بيّن المولى جل وعلا في الآية التدرج في التأديب من الأقل إلى الأعلى فبدأ بالوعظ ثم الهجر في المضاجع ثم الضرب فمن نفع معها الأقل فلا يتعداه إلى الأعلى فعن إياس بن عبد الله بن أبي ذباب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تضربوا إماء الله) فجاء عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ذئرن النساء على أزواجهن . فرخص في ضربهن ، فأطاف بآل رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء كثير يشكون أزواجهن ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم (لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشكون أزواجهن ليس أولئك بخياركم) (١) فالإذن من الله ورسوله بتأديب النساء ليس مفتوحاً للرجال على مصراعيه حتى يجعلوا ذلك حيلةً على ظلم النساء واضطهادهن وإنما جعل ذلك للرجال لكونهم أحكم وأعلم بعواقب الأمور من النساء اللاتي تغلبهن العاطفة ، وكل شيءٍ يقدر بقدره ومن زاد فقد تجاوز الحد ، ولذلك غضب النبي صلى الله عليه وسلم من أولئك الذين يضربون نسائهم بمجرد أن سمعوا السماح بذلك من الشارع وكأنهم يتحينون الفرصة للانتقام من مجرمٍ أو نحوه ، ونسوا حق العشرة وحسن المعاملة التي يعامل بها الأنبياء أزواجهم ولذلك ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يضرب امرأةً له قط وأخبر أن أولئك الذين يضربون نسائهم ليسوا بالأخيار لأنهم لم يقتدوا بالأنبياء و لم يستخدموا ما هو أقل من الضرب من التأديب .

١- رواه أبو داود وبن ماجه وصححه الألباني

قد كان للأنبياء عليهم الصلاة والسلام القدوة المثلى في التعامل مع الأطفال وحسن تربيتهم ويتمثل ذلك في جميع الجوانب ونذكر منها :

أولاً / الرحمة بهم قال تعالى في قصة يعقوب ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ سورة يوسف وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إبراهيم مسترضعاً في عوالي المدينة وكان ينطلق ونحن معه فيدخل البيت وإنه ليدخن وكان ظئره قيناً فيأخذه فيقبله ثم يرجع . رواه مسلم وعنه أيضاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولد لي الليلة غلام فسميته باسم أبي إبراهيم) ثم دفعه إلى أم سيف امرأة قين يقال له أبو سيف فانطلق يأتيه واتبعته فانتهينا إلى أبي سيف وهو ينفخ في كيره وقد امتلأ البيت دخاناً فأسرعت المشي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا أبا سيف أمسك جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمسك فدعا النبي صلى الله عليه وسلم بالصبي فضمه إليه وقال ما شاء الله أن يقول . قال أنس : ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان فقال له عبد الرحمن بن عوف : وأنت يا رسول الله ؟ فقال (يا ابن عوف ؟ إنها رحمة) ثم قال (إن العين لتدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما نرضي ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون) قال عمرو فلما توفي إبراهيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن إبراهيم ابني ، وإنه مات في الثدي ، وإن له لظئرين تكملان رضاعه في الجنة) رواه مسلم فانظروا إلى شفقة الوالد على ولده رغم كثرة مشاغله ورعايته لأمور الأمة لم تشغله عن عاطفة الأبوة .

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : أرسلت بنت النبي صلى الله عليه وسلم إليه أن ابناً لي قبض فأتنا فأرسل يقرأ السلام ويقول (إن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيءٍ عند الله بأجلٍ مسمى فلتصبر ولتحتسب) فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها فقام ومعه سعد بن عباده ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ورجال فرفع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبي ونفسه تقعقع ففاضت عيناه فقال سعد يا رسول الله ما هذا ؟ قال (هذا رحمة يجعلها الله في قلوب عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء) (١)

١-رواه أبو داود والنسائي وصححه الألباني .

ثانياً / الإحسان إليهم فعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو هكذا وضم أصابعه) رواه مسلم . وقال (من عال ابنتين أو ثلاثاً أو أختين أو ثلاثاً حتى يبن أو يموت عنهن كنت أنا وهو في الجنة كهاتين وأشار بأصبعيه السبابة والتي تليها) (١)

ثالثاً / التودد إليهم بتقبيلهم وضمهم ونحو ذلك فعن عائشة رضي الله عنها قالت : قدم ناسٌ من الأعراب على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : أتقبلون صبيانكم ؟ قالوا : نعم . فقالوا : لكنا والله ما نقبل . فقال النبي صلى الله عليه وسلم (وأملك أن كان الله قد نزع منكم الرحمة) (٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قبَّل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس فقال الأقرع إن لي عشرةً من الولد ما قبَّلت منهم أحداً فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال (من لا يرحم لا يرحم) متفق عليه وعنه أيضاً قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفةٍ من النهار حتى أتى خباء فاطمة فقال أثم لكع ؟ أثم لكع ؟ يعني حسناً فلم يلبث أن جاء يسعى حتى اعتنق كل واحدٍ منهما صاحبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه) متفق عليه وعن أبي بريدة رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبنا إذ جاء الحسن والحسين عليهما السلام عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال (صدق الله ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ من (١٥) سورة التغابن نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما) (٣) وعن عبد الله بن شداد عن أبيه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في إحدى صلاتي العشاء وهو حامل حسناً أو حسيناً فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه ثم كبَّر للصلاة فصلى فسجد بين ظهراني صلاته سجدةً أطالها قال أبي فرفعت رأسي وإذا الصبي على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساجد فرجعت إلى سجودي فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قال الناس يا رسول الله إنك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدةً أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر أو أنه

١- رواه بن حبان وصححه الألباني

٢- رواه بن ماجه وصححه الألباني

٣- رواه الترمذي وصححه الألباني

يوحى إليك قال كل ذلك لم يكن ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته) (١) وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها . متفق عليه

ومن ذلك الإهداء إليهم فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : أهدى النجاشي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقةً فيها خاتم ذهب فيه فصٌ حبشي فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعودٍ وإنه لمعرضٌ عنه أو ببعض أصابعه ثم دعا بابنة ابنته أمامة بنت أبي العاص فقال تحلي بهذا يا بنية . (٢) وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل علينا ولي أخٌ صغير يكني أبا عمير وكان له نغرٌ يلعب به فمات فدخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم ذات يومٍ فرآه حزيناً فقال (ما شأنه) قالوا : مات نغره . فقال (يا أبا عمير ما فعل النغير) متفق عليه

رابعاً / تحريم الكذب عليهم فعن عبد الله بن عامر رضي الله عنه أنه قال : دعتني أمي يوماً ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدٌ في بيتنا فقالت : ها تعال أعطيك . فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما أردت أن تعطيه ؟) قالت : أعطيه تمراً . فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم (أما إنك لو لم تعطيه شيئاً كتبت عليك كذبة) (٣) وقال أنس رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم يزور الأنصار ويسلم على صبيانهم ويمسح رؤوسهم . (٤)

وفي هذه الأحاديث بيان أن من أخلاق الأنبياء رحمتهم بالأطفال وإظهار المودة لهم بالتقبيل وتقديم الهدايا لهم وعدم تعنيفهم وإيذائهم ومشاركتهم آلامهم وتعزيتهم فيما يصعب عليهم فراقه كلعبةٍ ثمينة ونحو ذلك ، قال الشيخ بن عثيمين رحمه الله : يحرم ضرب الأطفال دون التمييز حتى يعي معنى الضرب . انتهى . قلت : فإذا بلغ سن التمييز ووعى معنى الضرب فلا يضربه حتى تنسدَّ في وجه وليه جميع السبل في تعليمه إلا بالضرب فيكون بمنزلة الكي الذي هو آخر العلاج ، ولم أجد في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ولا في سيرة الأنبياء من قبله أن أحداً منهم ضرب صبياً .

١- رواه النسائي وصححه الألباني

٢- رواه بن ماجة وحسنه الألباني

٣- رواه أبو داود وحسنه الألباني لغيره

٤- رواه النسائي وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٤٩٤٧)

قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها (ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه شيئاً قط بيده ولا امرأةً ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله ، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله) رواه مسلم ويؤيده قول أنس رضي الله عنه : خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي أفٍ قط ، وما قال لي لشيءٍ صنعته : لم صنعته ، ولا لشيء تركته : لم تركته ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً وكان بعض أهله إذا أعتبني على شيءٍ يقول : دعوه دعوه فلو قضي شيءٌ لكان . قال أنس : وكان عمري عشر سنين وفي رواية ثمان . إلا أنه ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم فرك أذن بن عباس فركاً خفيفاً في حديث مبيته عند خالته ميمونة ، وكذا أنس لما لم يأت بما طلبه منه .

لكن هذا لا يعني تحريم الضرب إذ يدل على جواز ضرب المميز حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع) (١)وقد لا ينفع مع بعض الأطفال التعليم بالحسنى فيلجأ المربي إلى الضرب لكن يشترط أن يكون مقصده التعليم لا الانتقام فلا يضربه ضرباً مبرحاً لكن بقدر ما يؤلمه ولا يضره .

خامساً / تعليمهم بما يتناسب مع أعمارهم فقد كان من عادة النبي صلى الله عليه وسلم تعليم الأطفال بالتي هي أحسن وباختصارٍ ووضوحٍ يتناسب مع أعمارهم كما في حديث عمر بن أبي سلمة قال : كنت غلاماً في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت يدي تطيش في الصفحة . فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم (يا غلام : سم الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك) متفق عليه وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أخذ الحسن بن علي تمرةً من تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم (كخ كخ ليطرحها ثم قال أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة) وعن بن عباس رضي الله عنهما قال كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال (يا غلام إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف) (٢)

١- رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني

٢-رواه الترمذي وغيره وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٧٩٥٧)

سادساً / احترام الأطفال وعدم احتقارهم فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحترم الأطفـــال ولا يستحقرهم فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : أُتِيَ النبي صلى الله عليه وسلم بقدحٍ فشرب منه وعن يمينه غلامٌ أصغر القوم والأشياخ عن يساره فقال (يا غلام أتأذن أن أعطيه الأشياخ ؟) فقال : ما كنت لأوثر بفضلٍ منك أحداً يا رسول الله فأعطاه إياه) متفق عليه

سابعاً / ممازحة الأطفال فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يمازح الأطفال قال محمود بن الربيـــع رضي الله عنه : عقلت من رسول الله صلى الله عليه وسلم مجةً مجها في وجهي وأنا بن خمس سنين من دلو . متفق عليه وإنما فعل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم لأن ريقه مبارك فقد لا يصـــلح هـــذا النوع من المزاح من غيره عليه الصلاة والسلام ويكون من خصائص الأنبياء والله تعالى أعلم ، لكن الشاهد أنه كان يمازح الأطفال .

قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ ﴾ سورة الكهف

هذه الآيات تبين حسن تعامل موسى عليه السلام مع خادمه فلم يتكبر عن الحديث معه كما يفعل كثيرٌ من الناس ثم كان طلبه منه فيه تلطف حيث بيَّن له سبب الطلب وهو عناء السفر الذي لحقهم ثم لمَّا اعتذر إليه قبل عذره رغم أن إهماله كان ظاهراً بتركه الحوت قريباً من البحر فلم يعنفه على ذلك بل أظهر له عكس ما كان متوقعاً في معاملة من يحدث منه مثل هذا الخطأ إذ أظهر له الفرح بذلك وهذا غايةً في التودد مع الخدم فهذه هي أخلاق الأنبياء مع خدمهم وهي ظاهرة في تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع خدمه فعن أنس رضي الله عنه قال (خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي أفٍ قط وما قال لشيءٍ صنعته لم صنعته ؟ ولا لشيءٍ تركته لم تركته وكان أحسن الناس خلقاً) متفق عليه وفي حديثٍ آخر قال (خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما أمرني بأمرٍ ثم أتيت غيره أو ضيعته فلامني فإن لامني بعض أهله إلا فقال دعوه فإنه لو قدر كان أو قضي أن يكون كان) وقالت عائشة رضي الله عنها (ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه شيئاً قط بيده ولا امرأةً ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله) رواه مسلم وكان النبي صلى الله عليه وسلم يزور خدمه إذا مرضوا فعن أنس رضي الله عنه قال : كان غلامٌ يهودي يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده فقعد عند رأسه فقال له أسلم . فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال أطع أبا القاسم . فأسلم . فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول الحمد لله الذي أنقذه من النار . رواه البخاري

وعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال : كنت أضرب مملوكاً لي فسمعت قائلاً من خلفي يقول (اعلم أبا مسعود ، اعلم أبا مسعود) فالتفت فإذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (لله أقدر عليك منك عليه) فقلت : يا رسول الله هو حرٌ لوجه الله تعالى قال (أما إنك لو لم تفعل للفحتك النار أو لمستك النار) رواه مسلم ورواه الترمذي وفيه (قال أبو مسعود فما ضربت مملوكاً لي بعد) صححه الألباني وهذا في المملوك فكيف بالخادم الحر كما هو في العهد الحاضر .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم (إن إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم) متفق عليه وعن المعرور بن سويد قال : رأيت أبا ذرٍ بالربذة وعليه بردٌ غليظ وعلى غلامه مثله قال فقال القوم يا أبا ذر لو كنت أخذت الذي على غلامك فجعلته مع هذا فكانت حلة وكسوت غلامك ثوباً غيره قال فقال أبو ذر إني كنت سببت رجلاً وكانت أمه أعجمية فعيرته بأمه فشكاني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية وقال إنهم إخوانكم فضلكم الله عليهم فمن لم يلائمكم فبيعوه ولا تعذبوا خلق الله) (١) ولقد أوصى بهم النبي صلى الله عليه وسلم عند موته فقال (الصلاة وما ملكت أيمانكم الصلاة وما ملكت أيمانكم) (٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فإن لم يجلسه معه ، فليناوله لقمةً أو لقمتين أو أكلةً أو أكلتين فإنه ولي حره وعلاجه)(أي طبخه) رواياه في الصحيحين وهذا لفظ البخاري ولفظ مسلم (إذا صنع لأحدكم خادمه طعامه ، ثم جاءه به ، وقد ولي حره ودخانه ، فليقعده معه فليأكل ، فان كان الطعام مشفوهاً قليلاً ، فليضع في يده منه أكلةً أو أكلتين)

١- رواه أبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٧٨٢٢)

٢- رواه أحمد والنسائي وبن ماجه وغيرهم وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٣٨٧٣)

يختلف تعامل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع الكفار باختلاف عـــدائهم وحـــربهم للإســـلام والمسلمين ولذلك فتعاملهم معهم على أنواع :

الأول / بغضهم والبراءة منهم وإعلان العداوة لهم وهذا عامٌ لجميع الكفار بلا استثناء قال تعالى ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ سورة المجادلة وقال تعالى ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ۚ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ من (٤) سورة الممتحنة غير أن هذه العقيدة قلبية قد لا يظهر أثرها في التعامل مع بعضهم كما سيأتي ولذا وقع الخلل عند الإرهابيين من هذا الوجه وهو عدم التفريق بين عقيدة القلب والأمر بحسن التعامل مع الناس .

الثاني / المحاربين المعلنين العداوة من الكفار فهؤلاء يعاملون بالغلظة والشدة كما قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ﴾ سورة التحريم وقال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ سورة التوبة

الثالث / المسالمين الواقعين تحت سيطرة المسلمين أو البعيدين عن الديار الإسلامية ولا يظهرون العداء للمسلمين أو الذين يُطمع في إسلامهم أو يُخشى شرهم ولا قدرة للمسلمين عليهم فهؤلاء يعاملون بالرفق واللين كما قال تعالى ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾ سورة الممتحنة فهؤلاء يجوز التعامل معهم فيجوز :

أولاً / تقديم الهدايا لهم فعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : قَدِمَتْ عليَّ أمي وهي مشركة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت قدمت علي أمي وهي راغبة أفأصل أمي قال (نعم صلي أمك) متفق عليه وعن عمر رضي الله عنه أنه رأى حلة سيراء تباع فقال : يا رسول الله ابتع هذه فالبسها يوم الجمعة وإذا جاءك الوفود قال (إنما يلبس هذه من لا خلاق له) فأُتي النبي صلى الله عليه وسلم منها بحلل فأرسل إلى عمر بحلةٍ فقال :كيف ألبسها وقد قلت فيها ما قلت . قال (إني لم أعطكها لتلبسها ولكن تبيعها أو تكسوها) فأرسل بها عمر إلى أخٍ له من أهل مكة قبل أن يسلم . (١)

ثانياً / قبول الهدايا منهم فقد قبل النبي صلى الله عليه وسلم هدايا المقوقس حاكم مصر وعن البراء رضي الله عنه قال أهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم حلة حرير فجعل أصحابه يمسونها ويتعجبون من لينها فقال (أتعجبون من لين هذه ؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير منها وألين) متفق عليه وعند النسائي والترمذي وصححه الألباني أنها كانت من أكيدر دومة الجندل . وأهدت له اليهودية الشاة المسمومة . (٢)

ثالثاً / يجوز دخول منازلهم والسماح لهم بدخول منازلنا فعن عائشة رضي الله عنها قالت : دخلت عليَّ عجوزتان من عجز يهود المدينة فقالتا إن أهل القبور يعذبون في قبورهم فكذبتهما و لم أنعم أن أصدقهما فخرجتا ودخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله إن عجوزتين من عجز يهود المدينة قالتا إن أهل القبور يعذبون في قبورهم قال (صدقتا إنهم يعذبون عذاباً تسمعه البهائم كلها) فما رأيته صلى صلاةً إلا تعوذ من عذاب القبر . (٣) والشاهد أنه لم ينكر دخولهما داره عليه الصلاة والسلام .

رابعاً / يجوز زيارتهم وعيادة مريضهم فعن أنسٍ رضي الله عنه قال :كان غلامٌ يهوديٌ يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده فقعد عند رأسه فقال له أسلم . فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال أطع أبا القاسم . فأسلم . فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول الحمد لله الذي أنقذه من النار . رواه البخاري

١- رواه البخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني

٢- رواه أبو داود وغيره وصححه الألباني

٣- رواه النسائي وصححه الألباني

خامساً / يجوز مداواة مرضاهم ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : أن رهطاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلقوا في سفرةٍ سافروها حتى نزلوا بحيٍ من أحياء العرب فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم ، فلدغ سيد ذلك الحي ، فسعوا له بكل شيءٍ لا ينفعه شيء ، فقال بعضهم : لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين قد نزلوا بكم لعله أن يكون عند بعضهم شيء ، فأتوهم فقالوا : يا أيها الرهط إنا سيدنا لدغ فسعينا له بكل شيءٍ لا ينفعه شيء فهل عند أحدٍ منكم شيء ؟ فقال بعضهم : نعم والله إني لراقٍ ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا فما أنا براقٍ لكم حتى تجعلوا لنا جعلاً فصالحوهم على قطيعٍ من الغنم ، فانطلق فجعل يتفل ويقرأ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي سورة الفاتحة حتى لكأنما نشط من عقال فانطلق يمشي ما به قلبة قال : فأوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه فقال بعضهم : اقسموا فقال الذي رقى : لا تفعلوا حتى نأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنذكر له الذي كان فننظر ما يأمرنا فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له فقال (وما يدريك أنها رقية ؟ أصبتم ، أقسموا واضربوا لي معكم بسهم) متفق عليه

ويكره التداوي عندهم إذا وجد غيرهم أو لم يكن ثمة حاجةٍ ملحة نصَّ عليه أهل العلم لأنهم غير مأمونين فلربما سعوا إلى الإضرار بالمسلم من غير ما يشعر أو على الأقل يكون لهم يدٌ على المسلم وينبغي للمسلم أن لا يجعل للكافر عليه يد فضل لأن القلب يميل إلى من أحسن إليه والميل إليهم محرم فيقع في المحظور أو غير ذلك من المفاسد التي ذكرها أهل العلم .

سادساً / جواز تعزيتهم في ميتهم على القول الراجح لكن لا يدعوا له ولا لهم بالرحمة والمغفرة وإنما يقول أحسن الله عزاءكم وخفف مصابكم وأخلفكم خيراً منه ونحو ذلك ولا يحضر الصلاة عليه ولا تكفينه ولا دفنه ولا نحو ذلك مما يختص بالمسلم ، إلا أن يكن قريبه وليس هناك من يتولى ذلك من أهل دينه فإنه يجوز له حينئذٍ أن يواري جثته بلا غسلٍ ولا تكفين لئلا يتأذى منه المسلمون .

سابعاً / جواز زيارة قبورهم للسلام عليهم وأخذ العظة والعبرة بلا دعاءٍ لهم ، ودليله قصة زيارة النبي صلى الله عليه وسلم لأمه .

ثامناً / يجوز الأكل من ذبائح أهل الكتاب وأن نعطيهم من ذبائحنا وأن نأكل معهم قال تعالى ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ ۖ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾ ﴾ سورة المائدة وتدل الآية أيضاً على جواز نكاح نسائهم العفيفات نكاحاً بشروط النكاح التامة غير سفاحٍ أي زنا ولا صداقة إنما بشروط النكاح المعروفة ، قال بن سعدي : الزناة في الجاهلية منهم من يزني مع من كان فهذا المسافح ، ومنهم من يزني مع خدنه ومحبه . انتهى من تفسيره . ولا يجوز تزويج الكتابي المسلمة لأن الإسلام يعلو ولا يعلى ولأن المرأة قد تتأثر بزوجها لضعفها وغير ذلك من الأسباب التي جعلت ذلك ممنوعاً .

تاسعاً / لا يبدؤون بالسلام إلا لمصلحةٍ راجحةٍ كتأليفٍ أو خوف شرٍ ونحو ذلك فيقال لهم كيف حالكم وكيف أصبحتم وكيف أمسيتم وكيف أولادكم ونحو هذه العبارات ولا يبدؤون بالسلام عليكم فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام وإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقه) رواه مسلم وإذا مرَّ بمجمعٍ فيه أخلاطٌ من المسلمين والكفار سلم عليهم جميعاً وقصد المسلم فعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ بمجلسٍ فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود فسلم عليهم . متفق عليه وقد استدل به بعض السلف على جواز بداءة الكفار بالسلام للمصلحة ولقوله تعالى إخباراً عن إبراهيم عليه السلام أنه قال لأبيه وهو كافر ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ ﴾ سورة مريم فأنكر الله عز وجل في القرآن استغفاره له و لم ينكر سلامه عليه وقال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ سورة الزخرف وقيل إنه من المسالمة كقوله تعالى ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ سورة القصص وهو قول عامة أهل العلم لكن نقل القرطبي عن بن عيينة وإبراهيم النخعي جواز بداءتهم بالسلام لمصلحة ، ورجحه وقال : قال الطبري : قد روي عن السلف أنهم كانوا يسلمون على أهل الكتاب . وفعله ابن مسعود بدهقان صحبه في طريقه ، قال علقمة : فقلت له يا أبا عبد الرحمن أليس يكره أن يبدؤوا بالسلام ؟ قال

نعم ولكن حق الصحبة . وكان أبو أسامة إذا انصرف إلى بيته لا يمر بمسلمٍ ولا نصرانيٍ ولا صغيرٍ ولا كبيرٍ إلا سلم عليه ، فقيل له في ذلك فقال : أمرنا أن نفشي السلام . وسئل الأوزاعي عن مسلمٍ مرَّ بكافر فسلم عليه ، فقال : إن سلمت فقد سلم الصالحون قبلك ، وإن تركت فقد ترك الصالحون قبلك .انتهى . والذي يظهر لي والله تعالى أعلم عدم بداءتهم بالسلام ولو لمصلحة إذ لم يرد فيما أعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم بدأ أحداً منهم بسلام والمصلحة المزعومة موجودةً في زمانه بل هي أعظم فقد أرسل إلى هرقل ملك الروم فقال له (السلام على من اتبع الهدى) والمصلحة في إسلام ملكٍ أولى من مصلحة إسلام من دونه من الرعية ومع ذلك لم يبدأه النبي صلى الله عليه وسلم بالسلام إنما سلَّم على من اتبع الهدى وهم المسلمون وعليه فيجوز التعريض بمثل هذا لكن لا يجوز السلام الصريح واتباع السنة أولى من اتباع الرجال ، ويحمل فعل السلف على البداءة بكيف الحال وكيف أصبحتم ونحو ذلك لا على السلام الصريح والله أعلم .

وأما رد السلام لمن سلم منهم فقد اختلف أهل العلم فيه والراجح أنه إذا تأكد أنهم أدوا السلام صحيحاً فإنه يرد عليهم فيقول : وعليكم السلام لقوله تعالى﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾ سورة النساء وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم (إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم) متفق عليه فقد بين سببه الحديث الآخر (إذا سلم عليكم اليهود فإنما يقول أحدهم السام عليك . فقل وعليك) متفق عليه وعن عائشة قالت : استأذن رهطٌ من اليهود على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : السام عليكم . فقلت : بل عليكم السام واللعنة . فقال (يا عائشة إن الله رفيقٌ يحب الرفق في الأمر كله) قلت : أولم تسمع ما قالوا ؟ قال (قد قلت وعليكم) وفي رواية (عليكم) بلا واو وفي رواية للبخاري . قالت إن اليهود أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : السام عليك . قال (وعليكم) فقالت عائشة : السام عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مهلاً يا عائشة عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش . قالت : أو لم تسمع ما قالوا ؟ قال أو لم تسمعي ما قلت رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم فيَّ) وفي رواية لمسلم قال (لا تكوني فاحشة فإن الله لا يحب الفحش والتفحش) فتبين أن سبب قوله (وعليكم) وأمره به أن اليهود في زمانه كانوا يقولون : السام عليكم أي الموت فلا يرد عليهم بمثل فحشهم بل يقول (وعليكم) وهذا غايةً في الأدب الإسلامي الرفيع .

عاشراً / يجب التعامل معهم بأخلاق الإسلام من الصدق في الحديث ، والعدل في القضاء ، والوفاء بالوعود ، وإكرام الضيف والجار ونحو ذلك ، ولا يحل أذية أهل الذمة ولا المعاهدين في الـــنفس والمال والعرض ، ولقد شدد النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فعن عبد الله بن عمرو رضـــي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من قتل نفساً معاهداً لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحهـــا ليوجد من مسيرة أربعين عاماً) رواه البخاري بل حتى نهى عن التقاط لقطته حفاظاً على ماله فقال (ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ألا يوشك رجلٌ شبعانٌ على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي ولا كل ذي ناب من السبع ولا لقطة معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها ومن نزل بقومٍ فعليهم أن يقروه فإن لم يقروه فله أن يغصبهم بمثل قراه) (١)

١- رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٢٦٤٣)

وهذا من تمام محبتهم لربهم وبغضهم لأعدائه فعن بن عباس رضي الله عنهما قال : حين صام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عاشوراء وأمر بصيامه قالوا يا رسول الله إنه يوم يعظمه اليهود والنصارى فقال رسول الله (فإذا كان العام المقبل صمنا يوم التاسع إن شاء الله تعالى) قال فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم . رواه مسلم

وقال صلى الله عليه وسلم (فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر) رواه مسلم

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (خالفوا المشركين أوفروا اللحى وأحفوا الشوارب) وفي رواية (أنهكوا الشوارب وأعفوا اللحى) متفق عليه وعند مسلم (جزوا الشوارب وأرخوا اللحى خالفوا المجوس)

وعن شداد بن أوسٍ رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم) (١)

وعن أبي أيوب وعقبة بن عامر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (لا تزال أمتي على الفطرة ما لم يؤخروا المغرب إلى اشتباك النجوم) (٢) وهو فعل اليهود .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من تشبه بقوم فهو منهم) (٣)

١- رواه أبو داود وصححه الألباني

٢- رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٧٢٨٥)

٣- رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني في الإرواء .

قال تعالى ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ سورة الروم

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الفطرة خمس : الختان ، والاستحداد ، وقص الشارب وتقليم الأظفار ، ونتف الإبط) متفق عليه وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (عشر من الفطرة : قص الشارب ، وإعفاء اللحية ، والسواك ، واستنشاق الماء وقص الأظفار ، وغسل البراجم ، ونتف الإبط ، وحلق العانة ، وانتقاص الماء ، قال زكريا : قال مصعب ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة زاد قتيبة قال وكيع انتقاص الماء يعني الاستنجاء) والبراجم عقد الأصابع . رواه مسلم

وقد وافق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الفطرة وأمروا بها فمن ذلك :

أولاً / محبتهم للروائح الطيبة وكراهيتهم للروائح الخبيثة : فعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (حُبِّبَ إلي من دنياكم الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة) (١)
وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزلنا ، وليعتزل مسجدنا ، وليقعد في بيته) متفق عليه. وعنه أيضاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من أكل من هذه الشجرة المنتنة فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الإنس) متفق عليه وقد ألحق العلماء بالمساجد المجامعَ العامةَ ، كمصلى العيد ، والجنازة ، ومكان الوليمة ، وألحقوا بالثوم والبصل كل ماله رائحة كريهة يتأذى بها الناس كالدخان ونحوه .

وعن بن عمر رضي الله عنهما قال : تجشأ رجلٌ عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال (كف جشاءك عنا فإن أطولكم جوعاً يوم القيامة أكثركم شبعاً في دار الدنيا) (٢)

وعن ابن عباس قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتنفس في الإناء أو ينفخ فيه . (٣)

١- رواه أحمد والنسائي وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٣١٢٤)

٢-رواه بن ماجه بهذا اللفظ وحسنه الألباني ورواه الترمذي بضمير الغائب (أطولهم وأكثرهم) وحسنه الألباني أيضاً انظر صحيح الجامع حديث رقم (٤٤٩١) فيكون الخطاب للكافرين وهو أقرب والله تعالى أعلم .

٣-رواه أبو داود وابن ماجه وصححه الألباني ورواه بن حبان بلفظ (نهى أن يشرب الرجل من في السقاء وأن يتنفس في الإناء) صححه الألباني .

وعن أنس رضي الله عنه قال :كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتنفس في الشراب ثلاثا . متفق عليه . وزاد مسلم في رواية ويقول (إنه أروى وأبرأ وأمرأ) ولا معارضة بين الحديثين فإن الأول دَفْعُ النَفَسِ داخل الإناء والثاني خارجه ففي حديث أنس (يتنفس في الشراب) أي يتوقف عن الشراب ويتنفس خارج الإناء وأما حديث بن عباس (نهى أن يتنفس في الإناء) أي داخله .

ثانياً / محبتهم للسواك : فعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (السواك مطهرة للفم مرضاة للرب) (١) وعنها أيضاً قالت : إن من نعم الله عليَّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته دخل علي عبد الرحمن بن أبي بكر وبيده سواك وأنا مسندةٌ رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته ينظر إليه وعرفت أنه يحب السواك فقلت آخذه لك ؟ فأشار برأسه أن نعم فتناولته فاشتد عليه وقلت ألينه لك ؟ فأشار برأسه أن نعم ، فلينته فأمرَّه وبين يديه ركوةٌ فيها ماء فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول لا إله إلا الله إن للموت سكرات . ثم نصب يده فجعل يقول في الرفيق الأعلى . حتى قبض ومالت يده . رواه البخاري وعنها قالت :كان النبي صلى الله عليه وسلم يستاك فيعطيني السواك لأغسله فأبدأ به فأستاك ثم أغسله وأدفعه إليه . (٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة) متفق عليه وعند البخاري معلقاً (عند كل وضوء)

ثالثاً / إعفاء اللحى وقص الشارب : عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (خالفوا المشركين أوفروا اللحى وأحفوا الشوارب) وفي رواية (أنهكوا الشوارب وأعفوا اللحى) متفق عليه وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (جزوا الشوارب وأرخوا اللحى خالفوا المجوس) رواه مسلم وعنه أيضاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أعفوا اللحى وجزوا الشوارب وغيروا شيبكم ولا تشبهوا باليهود والنصارى) (٣) فتبين من هذه الأحاديث وجوب إعفاء اللحى وقص الشوارب وهذا هدى المرسلين قال تعالى

١- رواه الشافعي وأحمد والدارمي والنسائي ورواه البخاري في صحيحه تعليقاً وصححه الألباني

٢-رواه أبو داود وحسنه الألباني .

٣- رواه أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (١٠٦٧)

حكايةً عن هارون عليه السلام أنه قال لموسى عليه السلام ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ ﴾ سورة طـــه وكان نبينا محمد صـــلى الله عليه وسلم كث اللحية فعن البراء رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً مربوعاً عريض ما بين المنكبين كث اللحية تعلوه حمرة جمته إلى شحمتي أذنيه لقد رأيته في حلـــةٍ حمراء ما رأيت أحسن منه . (١) وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم كثير شعر اللحية . رواه مسلم وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن إبراهيم الخليـــل عليـــه السلام يشبهه فقد روى البخاري عن بن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صـــلى الله عليه وسلم (رأيت عيسى وموسى وإبراهيم فأما عيسى فأحمرٌ جعدٌ عريض الصدر وأما موســـى فآدم جسيمٌ سبط كأنه من رجال الزط وأما إبراهيم فانظروا إلى صاحبكم يعني نفسه) فتـــبين أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يوفرون لحاهم فالواجب الاقتداء بهم وترك التشبه بالمشركين والمجوس واليهود والنصارى أعداء الله .

رابعاً / محبتهم للأسماء الجميلة وكراهيتهم للقبيحة : فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن بنتاً كانت لعمر يقال لها عاصية فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم جميلة . رواه مســـلم وعن أسامة بـــن أخدري : أن رجلاً يقال له أصرم كان في النفر الذين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمك قال أنا أصرم قال بل أنت زرعة . (٢) قـــال في الكلـــم الطيب : قد غير النبي صلى الله عليه وسلم الأسماء المكروهة إلى أسماء حسنة فكانت زينب تسمى برة . فقيل : تزكي نفسها فسماها (زينب) وكان يكره أن يقال : خرج من عند برة . وقيـــل لرجلٍ : ما اسمك ؟ قال : حزن . قال (بل سهل) وغير اسم عاصية فسماها (جميلـــة) وقـــال لرجل : ما اسمك ؟ قال : أصرم . قال (بل أنت زرعة) وسمى حرباً (سلماً) وسمى المضـــطجع (المنبعث) وأرضاً يقال لها : عفرة سماها (خضرة) وشعب الضلالة سماه (شعب الهدى) وبنو الزينة سماهم (بني الرشدة) انتهى . (٣)

١-رواه النسائي وصححه الألباني

٢-رواه أبو داود وصححه الألباني .

٣-(الكلم الطيب ص١٦٤)

خامساً / نهيهم عن التلفظ بألفاظٍ يظهر منها الاعتراض على أقدار الله ،كسب الدهر وسب الريح وسب الحمى ونحو ذلك فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى (يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار) متفق عليه وقال صلى الله عليه وسلم (لا يقولن أحدكم يا خيبة الدهر فإن الله هو الدهر) متفق عليه وقال صلى الله عليه وسلم (قال الله تعالى : يؤذيني ابن آدم يقول يا خيبة الدهر ، فلا يقولن أحدكم يا خيبة الدهر فإني أنا الدهر أقلب ليله ونهاره فإذا شئت قبضتهما) رواه مسلم

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تسبوا الريح فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا : اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أمرت به ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أمرت به) (١)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : ذكرت الحمى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبها رجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم (لا تسبها فإنها تنفي الذنوب كما تنفي النار خبث الحديد) (٢) وعن جابر رضي الله عنه قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم السائب فقال مالك تزفزفين ؟ . قالت : الحمى لا بارك الله فيها . فقال (لا تسبي الحمى فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير خبث الحديد) رواه مسلم

سادساً / نهيهم عن الإسراف والتبذير : فعن ابن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا في غير إسراف ولا مخيلة) (٣)

سابعاً / حرصهم على اجتماع أممهم وعدم تفرقهم حتى على الطعام فعن وحشي بن حرب رضي الله عنه أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع قال (فلعلكم تأكلون متفرقين ؟) قالوا : نعم . قال (فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله يبارك لكم فيه) (٤) وعن جابرٍ رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الأربعة وطعام الأربعة يكفي الثمانية) رواه مسلم

١- رواه الترمذي وصححه الألباني .

٢- رواه بن ماجه وصححه الألباني .

٣-رواه أحمد والنسائي وبن ماجه وحسنه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٤٥٠٥)

٤- رواه أبو داود وابن ماجه وحسنه الألباني .

قال تعالى لأيوب عليه السلام ﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ سورة ص وكان نبينا صلى الله عليه وسلم يتداوى بالأدوية الحسية فكان يحتجم ويأكل حبة البركة للتداوي ولَّما جرح في أحدٍ أخذت فاطمة رضي الله عنها قطعة حصيرٍ فأحرقتها حتى إذا صارت رمادًا ألصقته بالجرح فاستمسك الدم . واحتجم وهو مُحْرِمٌ في رأسه لداءٍ كان به ، واحتجم في وركه من وثءٍ كان به . (١) واحتجم على الكاهل ثلاثًا لَمَّا أَكَلَ من الشَّاة المسمومة . وعن سلمى خادمة النبي صلى الله عليه وسلم قالت : ما كان أحدٌ يشتكي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعاً في رأسه إلا قال احتجم ولا وجعاً في رجليه إلا قال اختضبهما . (٢)

غير أنه ينبغي أن يراعي أن يكون الحجام خبيراً بالطب فقد روى عن معمر قال : احتجمت فذهب عقلي حتى كنت ألقن فاتحة الكتاب في صلاتي وكان احتجم على هامته . (٣) وعن أبي كبشة الأنماري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجم على هامته من الشاة المسمومة قال معمر فاحتجمت أنا من غير سمٍ كذلك في يافوخي فذهب حسن الحفظ عني حتى كنت ألقن فاتحة الكتاب في الصلاة . رواه رزين

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر بالتداوي وينهى عن التداوي بالحرام فعن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال : قالوا : يا رسول الله أفنتداوى ؟ قال (نعم يا عبد الله تداووا فإن الله لم يضع داءً إلا وضع له شفاءً غير داءٍ واحدٍ الهرم) (٤) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدواء الخبيث . (٥) قال الترمذي يعني السم . ونهى عن التداوي بالخمر وقال (إنها داء وليست بدواء) (٦) وعن بن مسعود رضي الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم (إن الله لم يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليها) (٧) وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً (من تداوى بحرامٍ لم يجعل الله فيه شفاء) (٨)

١- رواهما أبو داود وصححهما الألباني .

٢- رواه أبو داود وحسنه الألباني .

٣- رواه الترمذي وأبو داود وحسنه الألباني .

٤- رواه أحمد والترمذي وأبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٧٩٣٤)

٥- رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٦٨٧٨)

٦- رواه الترمذي والنسائي وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٢٤٣٦)

٧- رواه أبو داود وصححه الألباني في غاية المرام موقوفاً على بن مسعود .

٨-رواه الطبراني وأبو نعيم قال الألباني الحديث بمجموع طرقه حسن على أقل تقدير انظر كتاب تراجع الألباني (٣٤٤/٢) رقم (٥٤١)

وكان صلى الله عليه وسلم يعود المرضى ولو كانوا كفاراً فقد عاد يهودياً كان يخدمه فـــدعاه إلى الإسلام فأسلم ، وعاد عمه أبو طالب فدعاه إلى الإسلام فلم يسلم ، وكان إذا عاد مسلماً قـــال (لا بأس طهورٌ إن شاء الله) فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على أعرابيٍ يعوده فقال له (لا بأس طهورٌ إن شاء الله) قال :كلا ، بل حمىً تفور على شيخٍ كبير تزيره القبور . فقال (فنعم إذن) رواه البخاري . وعن أنسٍ رضي الله عنه قال :كان غلامٌ يهـــودي يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده فقعد عند رأسه فقال له أسلم . فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال أطع أبا القاسم . فأسلم . فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول الحمد لله الذي أنقذه من النار . رواه البخاري

وعن سعيد بن المسيب عن أبيه قال : لما حضرت أبا طالبٍ الوفاة دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية فقال (أي عم قل لا إله إلا الله كلمةً أحاج لك بها عند الله عز وجل) فقال له أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزالا يكلمانه حتى كان آخر شيءٍ كلمهم به على ملة عبد المطلب فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لأستغفرن لك ما لم أنه عنك فنزلت ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾ سورة التوبة ونزلت ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ سورة القصص (١)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من عاد مريضاً أو زار أخاً له في الله ناداه منادٍ بأن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً) (٢) وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من عاد مريضاً لم يزل يخوض الرحمة حتى يجلس فإذا جلس اغتمس فيها) (٣)

تم الفراغ منه في (٩/٦/١٤٣١هـــ)

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وسلامٌ على المرسلين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

١- رواه النسائي وصححه الألباني .

٢- رواه ابن ماجه والترمذي واللفظ له وصححه الألباني .

٣- رواه مالك وأحمد وصححه الألباني في المشكاة .

المحتويات

باب في فضل حسن الخلق ٣
باب في ذكر حقوق الأنبياء عليهم السلام ٤
باب في ذكر حقوق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ٥
خصائص الأنبياء عليهم السلام ١١
خصائص نبينا محمدٌ صلى الله عليه وسلم ١٣
باب في كثرة عبادة الأنبياء وذكرهم لله جل وعلا ١٦
قيام الأنبياء الليل ١٧
باب في كثرة دعائهم وتعلقهم بالله وحده ١٨
كثرة استغفارهم ٢٠
باب في كثرة بكائهم من خشية الله ٢١
حسن ظنهم بالله جل وعلا ٢٢
كراهيتهم للظنون السيئة بالناس ٢٣
الدعوة إلى الله وظيفة الأنبياء وأتباعهم ٢٤
حرصهم على إسلام الناس ونجاتهم من النار ٢٥
إحسانهم إلى الناس جميعاً ٢٦
صبر الأنبياء ٢٨
سعة حلم الأنبياء وكظمهم للغيظ ٣٠
حسن تعليمهم ٣١
تواضع الأنبياء وزهدهم في الدنيا ٣٤
كرم الأنبياء وسخائهم ٣٨
حياء الأنبياء ٤٠
عدل الأنبياء ٤٢
من أخلاق الأنبياء دفع الريبة عن أنفسهم ودينهم ٤٤
وفاء الأنبياء ٤٦
صدق الأنبياء ٤٩
غيرة الأنبياء ٥١
شجاعة الأنبياء ٥٢
الأنبياء يمازحون أصحابهم ٥٥
بشاشة الأنبياء وحسن استقبالهم للناس ٥٦

كراهيتهم للسباب والصخب والتفحش في الأقوال ٥٧
عناية الأنبياء بالجار ٥٨
بر الأنبياء بوالديهم ٥٩
محبة تبشير الناس بالخير ٦١
من أخلاق الأنبياء الهجرة والجهاد في سبيل الله ٦٢
من أخلاق الأنبياء حفظ الأمانة وردها إلى أهلها ٦٣
من أخلاق الأنبياء كتمان السر ٦٤
من أخلاق الأنبياء المشاورة ٦٥
حسن تعاملهم مع أزواجهم ٦٧
حسن تعامل الأنبياء مع الأطفال ٧٢
حسن تعامل الأنبياء مع الخدم ٧٧
تعامل الأنبياء مع الكفار ٧٩
من أخلاق الأنبياء مخالفة الكفار ٨٥
موافقة الأنبياء للفطرة السليمة وبغضهم لما يخالفها ٨٦
الأنبياء يتداوون بالأدوية الحسية ٩٠